الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم : التاريخ

رقم:

الأوضاع الاجتماعية للحضنة خلال القرن 19م على ضوء وثائق محلية معاصرة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ حديث ومعاصر

اعداد الطالبتين:

- نوال بن عثمان
- سارة قشوش

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
اسم و لقب الأستاذ (ة)	المؤسسة الجامعية	الصفة
د. صالح لميش	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	رئيسا
د. كمال بيرم	جامعة محمد بوضياف	مشرفا و مقررا
د. فتح الدين بن ازواو	جامعة محمد بوضياف	ممتحنا

السنة الجامعية: 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحیم

شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين فالشكر أولا لله الذي بنعمته تتم الصالحات

نتقدم بعظيم الشكر والإحترام إلى الدكتور"كمال بيرم " مشرفنا ومرشدنا لتعاونه وصبره وسعة صدره على إنجاز هذا العمل

والشكر موصول لكل أساتذتنا الذين نهلنا من منابعهم العلمية طوال فترة الدراسة ونخص بالذكر الاستاذ خميسي سعيدي الذي قدم لنا يد العون.

وفي الأخير نشكر كل من شجعنا وشد من أزرنا ولو بالكلمة الطيبة نشكر الجميع وجزاكم الله عنا كل خير.

إهداء

ربي نحمدك حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك إنّه لا يسعني في هذا المقام إلّا أن أهدي ثمرة جهدي:

إلى أرواح شهداء نوفمبر ومجاهديه الأحرار.

إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها التي غمرتني بعطفها وأنارت لي درب حياتي بحبها نبع الحنان: أمي العزيزة حفظها الله وأطال في عمرها.

إلى الذي رباني على الفضيلة والأخلاق وشملني بالعطف والحنان وتحمل عبء الحياة حتى لا أحس بالحرمان: أبي العزيز حفظه الله وأطال الله في عمره.

إلى امي وابي العزيزان

إلى أخوتي زاخواتي

إلى كل عائلتي صغيرها وكبيرها

إلى كل من علمني حرفا في حياتي معلمي وأساتذتي

إلى كل طلبة وطالبات السنة ثانية ماستر التاريخ حديث ومعاصر و تاريخ وسيط وكل من رافقني في مشواري الدراسي من الإبتدائي إلى اليوم الذين كان لي فيهم نِعم الإخوة والأخوات.

إلى كل من وسعه صدري ولم تسعه كلماتي.

* سارة

قشوش*

إهداء

ربي نحمدك حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك إنّه لا يسعني في هذا المقام إلّا أن أهدي ثمرة جهدي:

إلى أرواح شهداء نوفمبر ومجاهديه الأحرار.

إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها التي غمرتني بعطفها وأنارت لي درب حياتي بحبها نبع الحنان: أمي العزيزة **ربيحة** حفظها الله وأطال في عمرها.

إلى الذي رباني على الفضيلة والأخلاق وشملني بالعطف والحنان وتحمل عبء الحياة حتى لا أحس بالحرمان: أبي العزيز **عمر** حفظه الله وأطال الله في عمره.

إلى جدي **السعيد** شفاه الله وجدتي **لاعج**

إلى روح جدي **السعدي وجدتي مرزوقة رحمهم الله برحمته الواسعة**

إلى أختي **عبلة**

إلى إخوتي الأعزاء: **فيصل- عبد الغاني- نصير**.

إلى كل عائلتي صغيرها وكبيرها

إلى كل من علمني حرفا في حياتي معلمي وأساتذتي

إلى صديقاتي العزيزات" سمية- سارة- سهيلة- صفية- فيروز"

إلى كل طلبة وطالبات السنة ثانية ماستر التاريخ حديث ومعاصر و تاريخ وسيط وكل من رافقني في مشواري الدراسي

من الإبتدائي إلى اليوم الذين كان لي فيهم نِعم الإخوة والأخوات.

إلى كل من وسعه صدري ولم تسعه كلماتي.

* نوال بن عثمان *

مقدمة

يبقى البحث في التاريخ المحلي محل اهتمام قلة من الباحثين لصعوبته وندرة مصادر كتابة التاريخ فيه، والميل إلى المواضيع ذات الصبغة المحلية في تنوعها وتعددها يسمح بإظهار التاريخ الوطني، فقد شهدت منطقة الحضنة كثير من الأحداث الاجتماعية والاقتصادية كباقي المناطق في الجزائر خلال القرن التاسع عشر وسنحاول دراسته في موضوع مذكرتنا الموسوم بعنوان الأوضاع الاجتماعية للحضنة من خلال الوثائق في القرن التاسع عشر انطلاقا من وثائق محلية غير منشورة لها من الأهمية العلمية والقيمة التاريخية التي من شأنها تقديم إضافة كبيرة للتاريخ المحلي، خاصة ما تعلق بالوضع الصحي لمنطقة الحضنة وما صاحبها من مجاعات وأمراض وأوبئة خلال القرن التاسع عشر جراء التداعيات السياسة الاستعمارية.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعتنا لمثل هذه المواضيع وانطلاقا من الوثائق:

- رغبتنا الشخصية في المساهمة ولو بقدر قليل في كتابة التاريخ المحلي لمنطقة الحضنة ومن أجل الاطلاع على حيثيات الوضع الاجتماعي للحضنة خلال القرن التاسع عشر، التي ننتمي إليها.
- أهمية الموضوع باعتباره امتداد للتاريخ العام للجزائر.
- إبراز أهم الأحداث الاجتماعية التي عرفتها المنطقة خلال الفترة المدروسة انطلاقا من المدونات المحلية الغير مستغلة.
- نقص المكتبات فيما يتعلق بتاريخ منطقة الحضنة وقلة الدراسات حولها.

الإشكالية:

البحث التاريخي حول المجتمع الحضني وواقعه المعيشي خلال القرن التاسع عشر يطرح لنا إشكالية:

إلى أي مدى كان وقع وتأثير الاستعمار في حياة المجتمع الحضني وواقعه المعيشي والصحي خلال القرن التاسع عشر في المدونة المحلية؟

وفي هذا الإطار نطرح عدة أسئلة جزئية تمثل محاور أساسية للإحاطة بالموضوع منها:

- كيف كانت التركيبة الاجتماعية للسكان في منطقة الحضنة؟
- ما وقع الاحتلال الفرنسي لمنطقة الحضنة وتأثيراته على الواقع الاجتماعي؟
- إلى أي مدى كان تأثير الوضع المعيشي على الواقع الصحي خلال قرن التاسع عشر؟
- ماهي الأسباب التي أدت إلى تدهور الوضع الاجتماعي في منطقة الحضنة؟ وماهي انعكاساتها على المجتمع الحضني؟
- وما أهم الأمراض التي عرفتها؟

ولمعالجة إشكالية الموضوع وللإجابة عن الأسئلة المتفرعة عنها اعتمدنا على **المنهج** التاريخي وما يتطلبه من آليات المقارنة والاستنباط والتحليل، والوصفي الذي اعتمدنا عليه في وصف جغرافية منطقة الحضنة والأوضاع السائدة خلال القرن التاسع عشر، أما المنهج التحليلي فقد إستعنا به في تحليل الوثائق المحلية والمعلومات في التي تخدم الموضوع والقيام أيضا بالمقارنة بين الأمراض وأسباب انتشارها.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة، قمنا بتقسيم الموضوع إلى مدخل وفصلين، تضمن المدخل الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة الحضنة.

جاء الفصل الأول بعنوان الحياة الاجتماعية لمنطقة الحضنة خلال القرن التاسع عشر، من حيث طبيعة التركيبة الاجتماعية وأهم التحولات التي عرفتها المنطقة في ظل الاحتلال الفرنسي. وتطرقنا في الفصل الثاني إلى الوضع الصحي مع شرح الأسباب المجاعات وذكر الأمراض التي نتجت عنها، كما ختمنا الموضوع بمجموعة من الملاحق التي تخدمه.

أما مصادر الدراسة فقد اعتمدنا في دراستنا هذه على الوثائق المحلية للأستاذ مهدي مبارك بعنوان تقييدات أحمد بن العربي عن أحداث الستينات من القرن التاسع عشر التي لم تنشر بعد، ولإثراء هذا الموضوع لجأنا إلى مصادر ومراجع أخرى لتحقيق المقارنة التاريخية، نذكر كتاب لبيرم كمال بعنوان من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني الذي افادنا في معرفة أعراش وقبائل المسيلة، وكذلك كتاب لمصطفي خياط بعنوان الأوبئة والمجاعات في الجزائر الذي أفادنا في معرفة الوضع الصحي وطبيعة نوعية الأمراض.

أما بالنسية للصعوبات التي واجهتنا في موضوع دراستنا فترجع إلى صعوبة تحليل الوثائق المعتمدة في الدراسة والتقيد الكبير بالأحداث التي جاءت فيها، وكذلك عدم التمكن من اللغة الأجنبية التي تخدم الموضوع كثيرا، كما واجهتنا صعوبة عدم الحصول على بعض المراجع من بينها كتاب لعمر بن قينة بعنوان صورة الجزائر أرضا وإنسانا لدى رحالة فرنسي الجزائر إلى بوسعادة عبر بوعريريج والمسيلة.

مدخل جغرافي وتاريخي

I. الإطار الجغرافي والتاريخي للحضنة

1. الإطار الجغرافي للحضنة

1.1 الحضنة في كتب الرحالة

2. الإطار التاريخي للحضنة

2. 1. فترة ما قبل التاريخ

2. 2. الفترة القديمة

2. 3. الفترة الإسلامية

I.الإطار الجغرافي والتاريخي للحضنة:

1.الإطار الجغرافي للحضنة:

إنَّ المتمعن في خريطة الجزائر، يشد إلى ناظره المنخفض الجغرافي الذي يقع في مؤخرة مقاطعة الجزائر وقسنطينة على مسافة 145 كلم جنوب ساحل المتوسط، وهذا المنخفض سمي فيما مضى من طرف العرب بالحضنة [1]،كانت تابعة لمقاطعة الزاب [2] كما ينتمي إقليم الحضنة جغرافيا ومناخيا إلى منطقة السهول العليا المحصورة بين السلسلة الجبلية و المرتبطة في الشمال بالبحر، و في الجنوب بالصحراء أو ما يسمى بإقليم النجود الذي يشمل كامل المنطقة الممتدة بين الأطلس التلي و الصحراوي، و يتجه عموما من الغرب إلى الشرق، وتعود معظم ترسباته إلى الزمنين الجيولوجيين الثاني و الثالث، ويزيد ارتفاعه على مستوى سطح البحر إلى 1200 متر، وتشكل منطقة الحضنة رأس هذا المثلث الجغرافي الذي تعد منطقة الحدود المغربية الجزائرية قاعدته[3].

الحضنة مصطلح جغرافي ولغوي واجتماعي يشمل منطقة واسعة تضم عدة مدن كبرى(المسيلة، بوسعادة، سيدي عيسى، ونوغة، أولاد دراج، مقرة)...تطور مفهومها عبر العصور من القديم إلى الوسيط فالعصر الحديث، من خلال عدة مصادر جغرافية كالمقديسي، البكري، وإبن حوقل، الإدريسي، الوزان، العياشي و شو ديبو.....[4].

---

(1) Despoi,J: le hodna (algerr) PUF paris , 1953 ,pp 6 - 11.

(2) زاب إفريقية في جنوب مقاطعة قسنطينة من القطر الجزائري وهو اسم الاقليم يضيقه الاستعمال العرفي ويوسعه، فقد كان في القرون الهجرية الأولى إلى القرن الثامن يطلق اطلاقا واسعا حتى يشمل سهول الحضنة ومدنها الواقعة في سفوح الأطلس الجنوبية وهي: المسيلة ومقرة وطبنة الرومانية وتعرف اليوم باسم "بريكة" أنظر: (أحمد طالب الابراهيمي: آثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج4، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، ط1، 1997، ص352).

(3) بيرم كمال: الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي(1840-1854)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت اشراف: د. صالح لميش، جامعة قسنطينة، 2010-2011، ص8.

(4) سعد الدين سهام: من أعلام الحضنة ودورهم في الحركة الوطنية والثورة التحرير (1900- 1962)، مذكرة ماستر، تاريخ حديث ومعاصر، تحت إشراف بيرم كمال، جامعة المسيلة، 2013/2012م، ص6.

واسم الحضنة مشتق من الاحتضان، وله دلالة جغرافية أكثر من غيرها، وقد غاب هذا الاسم في الكتابات التاريخية الوسيطة، و يرجعه الباحثون إلى الفترة المتأخرة من الحكم العثماني، و قد أطلقه أهالي المنطقة على السهل الواسع الذي يمتد نحو السبخة المالحة للمسيلة أو ما يطلق عليها أيضا بشط السعيدة نسبة إلى دوار السعيدة و تمتد هذه السبخة من الشمال إلى الجنوب بين سلسلتين جبليتين تكونتا مع جبال البيريني في أوربا[1].

يتمركز اقليم الحضنة حول منخفض تقل نسبة ارتفاع سطحه عن أربعمائة متر، بالنسبة إلى عن مستوى سطح البحر، مع ما دون الصفر في نواته الأساسية المغمورة تحت مياه السبخة (شط الحضنة[2])[3]، التي تسمى (السبخة سيدا أو شط المسيلة)[4]، وهو يتميز بخصائص جغرافية قلما يشاركه اقليم أخر بشمال افريقيا، لا من حيث مظاهر السطح والمناخ أو النشاط الاقتصادي والاجتماعي.[5]

ذلك أن نظرة متفحصة في البنية المورفولوجية لهذا الإقليم، تقوم على سلسلة جبال ونوغة و المعاضيد وبلزمة في شكل قوس يحف الحوض من الناحية الشمالية والشمالية الشرقية، فيحجب عنه الأفق من هنالك ويقوي من عمق منخفض الحوض، لكون تلك المرتفعات بتراوح علوها بين ألف وأربعمائة متر(1400م) جبل ونوغة و ألف وثمانمائة

---

(1) بيرم كمال: مدخل إلى مدينة المسيلة من الاحتلال الروماني إلى العهد العثماني ، دار الاوطان، الجزائر، 2012، ص10.

(2) وهو يرتفع 400 مترا عن سطح البحر، وطوله 70 كيلو مترا وعرضه يتراوح بين 10 و25 كيلو مترا ويقع جنوب المسيلة. ينظر: (أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، د: ط، د: ت، ص39).

(3) محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج1 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص159.

(4) Feraud , CHARLES: Histoire Des Villes De La Province De Constantine: Sétif, Bourdj Bou-Arreridj, Messila Et Constantine, In RSAC, Vol XV, 1871-72, Le Guid Bleu, Algérie, Hachette, Paris, 1977, p231.

(5) محمد البشير الشنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص159.

متر (1800م) جبل بوطالب، وهو ما ينتج عن فارق مستوى الارتفاع بين الحوض والجبال المحيطة به يتراوح بين ألف وألف وأربعمائة متر (1000- 1400م) .

أما الناحية الشرقية فنجد مرتفعات متليلي كفاصل بين الحضنة وحوض الزيبان، وهي مرتفعات تشكل حلقة وصل في الأطلس الصحراوي رابطة بين جبال الزاب الواقعة إلى الجنوب الغربي، ومرتفعات الأوراس الضاربة إلى الشمال الشرقي من جبال متليلي، كما تتناثر مرتفعات متقطعة إلى الجنوب من حوض الحضنة، وهي أشبه بشظايا فالتة من مرتفعات الزيبان، تشكل مظهرا تضاريسيا مختلفا في هذه الحافة الجنوبية من إقليم الحضنة عن الحافة الشمالية منه، بينما نجد من الجهة الجنوبية مرتفعات أولاد نايل لحوض الحضنة في شكل تضاريسي مغاير عن الجهة الشمالية [1]، فالحضنة تمتاز بخاصية موقعها الوسطي الذي يربط بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب.[2]

ولقد انعكست هذه التضاريس على نوعية المناخ السائد في حوض الحضنة، فالمسافة الطولية (حوالي 100 كم) التي تفصل الحضنة عن سطح البحر ليس لها مفعول على مناخ الحضنة لأن المرتفعات المحيطة بها من جهة الشمال تقف حاجزا يمنع تسلل رطوبة البحر الى هذا الاقليم، وعلى العكس من ذلك فان حوض الحضنة يتعرّض الى تأثير الهضاب العليا غربا، والصحراء جنوبا، لانفتاحه عليهما وهي سمة تميّز مناخ الحضنة بالحرارة والجفاف، وقلّة تساقط الأمطار الذي ينعكس على الغطاء النباتي الفقير كلّما تدرّجنا جنوبا.

---

[1] محمد البشير شنيتي: المرجع السابق، ص159.

[2] سجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية الكبرى لولاية المسيلة 1954- 1962، مديرية المجاهدين، 2010، ص16.

وعلى أساس ذلك فان اقليم الحضنة يتميّز بطابع صحراوي أكثر منه تلّي، غير أنّه ولحسن حظ المنطقة أنّها ذات صرف داخلي، فهي تتوفّر على مخزون هام من المياه الجوفية التي تغذيها الامطار المنحدرة من المرتفعات الشمالية، وتصبّ نحو السفوح الجنوبية، عبر أودية مثل واد القصب، الذي يمرّ بمدينة المسيلة، وواد القنطرة، وواد بريكة، الأمر الذي أعطى الاقليم حيوية زراعية قام عليها استقرار بشري منذ عهود مبكّرة.[1]

ويقسم الجغرافيون منطقة الحضنة إلى أربع أقسام طبيعية مختلفة

-1 الجبال 2-السهول - 3 الشط 4- الرمل:[2]

1ــ سلسلة جبال الحضنة: تمثلها جبال الحضنة التي تمثل الحدود الشمالية لمنطقة المسيلة، والتي هي عبارة عن حلقة تربط بين السلاسل الأطلسية والتلية والصحراوية باتصالها بجبال الأوراس الجنوبية ، التي تمتد على شكل سلسلة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ممثلة في جبال ونوغة غربا وجبال المعاضيد وبوطالب و بلزمة شمالا إلى جبال الأوراس شرقا، والتي علوها ما بين 1400 إلى 2000 م حيث تصل بجبال المعاضيد 1902 م بجبال تاشريرت وتعتبر هذه السلسلة الجبلية مصدر أودية المسيلة وشطها كما تعتبر جبال بوسعادة وجبال أولاد نايل الحدود الجنوبية للحضنة وتربط بين هذه الجبال وجبال الأوراس جبال لمحارقة.[3]

---

(1) أم الخير العقون: مجلة دراسات انسانية واجتماعية ، جامعة وهران ، عدد خاص، جوان 2102 Dirassat Insaniya wa Ijtimaiya، ص 173.

(2) كمال بيرم: بلدية المسيلة المختلطة دراسة اقتصادية واجتماعية بين (1884- 1954)، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارات البحر المتوسط، إشراف الأستاذ، حداد مصطفى، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2006/2005، ص 11.

(3) سامية ديفل: أعلام ولاد عدي ودورهم السياسي والثقافي1900- 1962، مذكرة ماستر، تاريخ حديث ومعاصر، تحت إشراف عبد الله مقلاتي ، جامعة المسيلة، 2014/2013، ص 8.

2. **إقليم السهول:** أعتمد الجغرافي الفرنسي جان ديبو"jeans despois "[1]، الذي خص المسيلة بدراسة هامة ووافية حول المسيلة كهضاب مرتفعة نظرا لتنوع تضاريسها واتساعها بحيث ميز بين أراضي الجر التي تقع شمال شط الحضنة وترتفع بين 500 إلى 700 م وتتخللها الأودية المنحدرة من مرتفعات الشمال مثل: وادي القصب و وادي سلمان ووادي لقمان، بين أراضي الرمل الجنوبية والواقعة جنوبه، ويمتد إقليم السهول بين الأطراف المترامية من جنوب السلاسل الشمالية إلى شمال شط الحضنة والتي تزيد مساحتها من 8500 كم تأخذ في الشمال محور سهول سيدي عيسى، سهول البحيرة، سهول المسيلة إلى نقاوس شرقا التي تعتبر مدخل المسيلة الشرقية وهي منفتحة في الشرق على السهول القسنطينة المرتفعة، ومن الغرب على السهول الوسطى التلية للجزائر (سهول سيدي عيسى والسلامات)، وهي محاطة بمدن المسيلة الرئيسية: مدوكال في الجنوب الشرقي، نقاوس في الشمال الشرقي، المسيلة في الشمال، سيدي عيسى في الشمال الغربي وبوسعادة في الجنوب.[2]

3. منطقة الشط: ويسمى بشط السعيدة نسبة إلى منطقة السعيدة القريبة منه، ويمثل شط الحضنة أهم المنخفضات الواقعة شمال المغرب العربي من حيث اتساع مساحته وانخفاضه ، وشط المسيلة أطلق عليه الرومان قديما اسم Salinae Tubonense نظرا

---

[1] يذكر الدكتور بيرم كمال في كتابه مدخل الى تاريخ مدينة المسيلة: بأن الجغرافي الفرنسيdespois قد قدم مساهمات عديدة ومؤلفات حول جغرافية وسكان المسيلة ومواضيع متنوعة من خلال عمل ميداني قام به بداية الحرب العالمية الثانية ثم واصل بعد نهايتها، وجاب خلال بحث سهول وجبال المسيلة رفقة قائد المسيلة بوضياف محمد ومن بين الدراسات التي قدمها والتي اهتمت بالمسيلة نذكر:

- La bordure saharienne de l'Algérie orientale, Revue Africaine, 1942, pp. 196 - 219
- La répartition de la population en Algérie Ann E.S.C, 1960, pp 214-226.
-Le Sahara et l'écologie humaine. Ann de Géogr. 1961. Pp 577-584

[2] بيرم كمال: مدخل إلى تاريخ المسيلة، ص15.

لقربه من المدينة الرومانية القديمة طبنة Thubuae وهو عبارة عن سطح مائي ممتد في مستوى واحد على الأقل وكأنه قطعة زجاجية من دوار سيدي حملة في الجنوب إلى قرية بانيو في الشمال، ويبلغ عدد الأودية والمجاري التي تصب في الشط حوالي 22 واد.

4.إقليم الرمل: تحيط بشط الحضنة ناحية الجنوب مساحة واسعة من الأراضي التي يطلق عليها بالرمل وهي عبارة عن منطقة رملية تمتد بين الحدود الجنوبية لشط الحضنة والحدود الشمالية لسهل بوسعادة ويبدأ من محور الوطاية إلى جبال بوزكزة والمحارقة في الشرق، إلى وادي بوسعادة في الغرب بمحاذاة صحراء أولاد سيدي إبراهيم وأولاد سيدي هجرس في الغرب، وقد ظل هذا الإقليم موطن تنقل البدو الرحل منهم إلى أقاليم التل الشمالية، خاصة من قبائل أولاد سيدي حملة والسوامع.

ومن حيث المميزات المناخية في المسيلة تقع ضمن المناخ المتوسطي من حيث سقوط الأمطار الشتوية القليلة وشدة البرودة والصيف الحار الجاف.[1]

1.1 الحضنة في كتب الرحالة:

قدم لنا الرحالة شارل دوغالون[2] معلومات جغرافية طبيعية متنوعة، منها ما يتعلق بجغرافية التضاريس وجغرافية المناخ وجغرافية الحياة (الحيوية) وجغرافية التربة، وتتجلى هذه الصور من خلال المحطة التي قادته إلى كل من مدينة بوسعادة ومدينة المسيلة.

---

[1] سعد الدين سهام: من أعلام الحضنة ودورهم في الحركة الوطنية ثورة التحرير (1900- 1962م)، ص8.

[2] ولد الرحالة شارل دوغالون بالدويرة (الجزائر العاصمة) في 17 ديسمبر 1851م، بدأ تكوينه الجامعي كطالب بثانوية الجزائر، ثم سافر إلى فرنسا ليلتحق بالمجمع المدرسي ايكسي (Aix) سنة 1872، عاد مجددا إلى ثانوية الجزائر في نهاية السنة نفسها وكلف بالتدريس، أما في سنة 1874، فتم تعيينه بثانوية تورنون، ليصبح بروفيسور في علم البلاغة والبيان سنة 1875بثانوية مورنتوبيان. ينظر:(زيان رجاء، قراءة تاريخية للرحلة ومختلف محطاتها من خلال الرحالة الأوربيين حول مدينة الحضنة رحلة شارل دوغالون نموذجا: الملتقى الوطني الخامس تاريخ أعلام المسيلة، ص5).

منطقة الحضنة (المسيلة):

جغرافيا تبعد المسيلة عن بوسعادة 70 كلم فتقع في سهل الحضنة، و هو عبارة عن سهل واسع يقع بين جبال أولاد نايل والزاب جنوبا وجبال ريرا شمالا، مشكلا حوضا يقع على إرتفاع 400 م عن سطح البحر ويمتد من الشرق إلى الغرب بطول 70 كلم وعرض 25 كلم ويدعي شط الحضنة أو السبخة، يتألف من غطاء نباتي متنوع مشكل من: القطف، الحلفة، الدرين، السدرة، البلبال، الحد وهو طعام الجمال، الطرفة، الميكيربة الديس، الرتم، النيسي، يتخلل هذا الشط وادي القصب ووادي الشلال، وواد البيضة.[1]

كما يرصد الكاتب الفرنسي "بول أودال"[2] (Paul Eudel) جزءا من تاريخ مسيلة، حيث يعطي وصفا دقيقا للمسيلة التي يجري بها وادي القصب ويصب من جبال المعاضيد ويجري في المدينة وتلتقي ضفتيه في جسر حديدي وفي الجهة اليمنى يسكن ما يقارب 120 فرنسي ومئات اليهود المجنسين بين حيين للأهالي العرقوب والكوش، وفي الجهة اليسرى يوجد أربعة أحياء تشكل المدينة العربية يسكنها أربعة آلاف ساكن وهذه الأحياء هي شطاوة، الجفرة، رأس الحارة، كرباط تليس، وبالمدينة ساحة كبيرة بها مقهى، ونزل بسيط بأسرة نحاسية لا يتوفر لا على الكهرباء ولا الغاز، والساحة العامة واسعة

---

[1] راجعي عبد العزيز: الصورة الجغرافية لمنطقة المسيلة من خلال رحلة شارل دوغالون 1897، الملتقى الوطني الخامس تاريخ أعلام المسيلة ، ص7. ينظر كذلك إلى:

.De Galland, Excursion à Boussaâda et M'sila, Editée par Paul Ollendorff, Paris.1899 ,p82

[2] ولد الرحالة بول ادال بتاريخ 23 اكتوبر 1837م بمنطقة كروتوي crotoy شمال فرنسا ، توقف عن الدراسة في مرحلة التعليم الثانوي بسبب قلة الموارد المالية التي تسمح له بالاستمرار في التعليم، منذ صغره عرف عنه شغفه بالاطلاع و الفضول لمعرفة الاشياء و جمع التحف و الاشياء النادرة فكان همه السفر و الترحال في أوربا ، هذا الفضول دفعه الى الاهتمام بالأدب و متابعة الحركة الثقافية الأوربية و المشاركة في بعض الجرائد بعدة مواضيع ابح من اشهر كتاب الاخبار في جرائد عالمية مثل le figaro, le temps ، و عضوا بعدة جمعيات ثقافية و علمية مثل الجمعية الاثرية لمنطقة لوار loire ، ساهم في الدفاع عن منطقة نانت ضد الجيش البروسي سنة 1871م. ينظر: (خميسي سعيدي: كتابات الرحالة الغربيين خلال القرن19، الملتقى الوطني الخامس تاريخ أعلام المسيلة، ص02).

تزينها النباتات والنافورة وتتوزع محلات الجزارين والعطارة ومقاهي ومحلات الفخار وتبيع مختلف أواني المطبخ كالبرمة والكسكاس. [1]

2. الاطار التاريخي للحضنة:

تنتشر ببلاد الحضنة العديد من المواقع الأثرية التي تشهد على ماضي حافل بالإنجازات العديدة شمالا وجنوبا شرقا وغربا[2]، فلها آثار تاريخية لا زلت شاهدة على تعاقب عدة حضارات منذ آلاف السنين منها: آثار الحضارة الرومانية والوندال والبيزنطيين والفتح الاسلامي وفترة الاستعمار الفرنسي، إلا أن القرون الأولى لهذه المنطقة ماتزال غامضة إلى يومنا هذا لغياب عمليات البحث والتنقيب التي كانت بإمكانها أن تعرفنا على مراحل تطورها تبعا للمراحل التاريخية التي مرت بها المنطقة.[3]

لقد مهدت الخصائص الجغرافية لمنطقة الحضنة استيطانا بشريا منذ عصور ما قبل التاريخ[4]، وهذا ما يفيدنا به علماء ما قبل التاريخ بأن اقليم الحضنة كان ذا حيوية خاصة منذ عهود موغلة في القدم ترجع إلى العصور الحجرية، حيث وجدت آثار لإنسان صانع الحضارة الواهراني (الإبيرومغربية) حوالي الألف 11 ق م عند موقع الهامل ببوسعادة، كما ترك الانسان القفصي أدوات من الصوان المشظاة بالموقع المعروف "رحا فيرو" بوسعادة، وعثر على بقايا مواقد وأدوات على سفح جبل الطارف، جنوب غرب مدينة المسيلة بتجاه سيدي عيسى.[5]

---

[1] سليمة بودخانة: صورة المسيلة في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن 19، الملتقى الوطني الخامس تاريخ وأعلام المسيلة، جامعة باجي مختار، عنابة ، ص2.

[2] سعاد سليماني: الجغرافية التاريخية في المغرب القديم والوسيط واقع البحث وأفاقه، سجل بحوث الملتقى الدولي الأول، دار كونتراست للنشر، الجزائر، 2015، ص44.

[3] سعاد سليماني: الجغرافية التاريخية في المغرب القديم والوسيط واقع البحث وأفاقه، ص43.

[4] صليحة رحلي: المسيلة وجهتها في العصر الوسيط دراسة موتغرافية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير– تاريخ الوسيط، ص13.

[5] أم الخير العقون: الموقع الاستراتيجي لمنطقة الحضنة في التاريخ القديم، ص 174 – 175.

الاحتلال الروماني لمنطقة الحضنة:

كان للنشاط العسكري الحثيث خلال القرنين الثاني والثالث أثره الواضح على منطقة الحضنة[1]، كما اهتم الرومان ببلاد الحضنة من الناحية العسكرية فأقدموا على إنشاء الحصون وشق الطرق عبر هذا الاقليم في إطار شبكة الدفاع التي افتضاه الليميس[2]، وهي كثيرة بعضها أصل عسكري والبعض الآخر تميز بالطابع المدني[3] ومن المراكز العمرانية نذكر:

- مقرة (Magri) تعود في تاريخ نشأتها إلى القرن 2م إذ وجد بها نصب اهداء إلى الأمير كركلا أبا لامبراطور سيفرس مؤرخة عام 197م[4]، حيث أقيمت فيها منشآت هامة للتحكم في المياه[5]، حيث ذكرها الكتاب والجغرافيون العرب من أمثال ابن حوقل حوقل واليعقوبي والادريسي وذكرها ياقوت الحموي.
- معسكر تارمونت أو آراس (Aras): الاسم الحقيقي لتارمونت ذو أصل بربري ويعني بالعربية الرمان، سماها أنتونين الروماني (Aras)، فهي مدينة أنشأت خلال القرن3م في إطار الحصن الجنوبي الروماني Limes، فقد أحاطها الرومان بسور كبير لحمايتها، حيث مثلت مطمور انتاج الحبوب خلال الفترة الرومانية.[6]

---

(1) محمد البشير شنيتي: المرجع السابق، ص165.

(2) الليميس: يعرف هذا النوع من العمران خط الدفاع أو الليميس Limes، وهو الذي يتشكل من خندق كبير تتخلله أبراج مراقبة والعديد من الحصون والقلاع، وتشير النصوص القديمة والشواهد الأثرية أن الرومان خطين دفاعين: الأول في عهد الأباطرة الأنطويين في القرن الثاني للميلاد وكان الهدف منه تطويق سلسلة الأطلس التلي والسهول المحاذية لها شمالا وهذا الخط هو الذي كان يمر شمالا النمامشة، الأوراس، الحضنة. ينظر: (أم الخير عقون، المرجع نفسه، ص190).

(3) محمد البشير شنيتي: المرجع السابق، ص162.

(4) أم الخير العقون: المرجع السابق، ص184.

(5) محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، د:ط، 2003، ص 110.

(6) كمال بيرم: مدخل إلى تاريخ مدينة المسيلة، ص53- 54.

- طبنة (Thubunae): هي مدينة عريقة تقع بين كل من وادي بريكة ووادي مزون[1]، حيث يقول المراكشي: "مدينة كبيرة قديمة عليها سور من طوب ولها حصن قديم من صخر جليل ضخم متن البناء من عمل الأوائل...."[2].

وكذلك قال عنها بن حوقل: "طبنة مدينة قديمة وكانت عظيمة كبيرة البساتين..."[3].

وقد ذكر أبو الفداء عن هذه المدينة بقوله: " وطبنة مدينة عظيمة كثيرة المياه والمباني والأهل..."[4].

- زابي (ZAbi Justiniana): تقع زابي بالجزء الغربي من بلاد الحضنة، تنتمي في معظمها إلى بلدية المطارفة، وتبعد بحوالي 4 كلم جنوب شرق بلدية المسيلة، تعرف حاليا باسم بشيلقة[5]، والتي كانت احدى المواقع العسكرية على الخط الدفاعي الثاني ببلاد الحضنة[6]، وقد ذكرت باسم "ادنة" عند كل من الرقيق القيراواني(ق10) والبكري (ق11) ويذكرها هذا الأخير "إدنة" (ربما قصد عادنة أم أنها مجرد خطأ في النسخ)، وعند اليعقوبي (ق10) بصيغة "ارية" ويذكر أنها هي أخر مدن الزاب ....، ثم يذكر كذلك "عزبة"، أما النويري وابن الأثير فذكرا اضافة إلى "عزبة" اسم "عربة"، أما تسمية "بشيلقة" كما ذكرها البكري قد تكون مشتقة من الكلمة اللاتينية "بازليكا"، الشيء الذي يعني وجود بازليلكا في هذه المنطقة[7]، عرفت هذه المنطقة الاحتلال الوندالي، حيث خربت في تلك الفترة مما جعل البيزنطيين يعاودون الكرة لبنائها من جديد في عهد الامبراطور البيزنطي (جوستيان الأول) بإشراف قائده الجنرال سولومون سميت زابي جستبانا.

---

(1) محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، ص111.

(2) مراكشي: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د:ط، 1985، ص172.

(3) بن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، د:ط، ص85.

(4) أبي الفداء: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830، ص139.

(5) سعاد سليماني: المرجع السابق، ص55.

(6) سعاد سليماني: المرجع نفسه، ص56.

(7) محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص175.

الحضنة في الفترة الاسلامية:

كانت هذه المنطقة مهد الفاتحين خلال النصف الثاني من القرن السابع ميلادي[1]، إن بيلاد الزاب دارت المعارك الحاسمة التي خاض غمارها الفاتحون الأولون، ولقي فيها الفاتح الشهير عقبة ابن نافع الفهري وأصحابه حتفهم[2]، حيث يقول ابن عذارى عن المعارك التي دارت بين عقبة وأصحابه مع الروم وحلفائهم من البربر في هذه المنطقة: (وغزوته لهم أيضا بالزاب وقاتلهم على وادي المسيلة[3]، فهزمهم وذهب عز الروم وملكهم من الزاب إلى آخر الدهر.[4]

أما مدينة طبنة فهي مما افتتح موسى ابن نصير حين دخل بلاد افريقية والمغرب وبلاد الاندلس[5]، وفي نهاية ولايته تنتهي فترة الفتح في تاريخ المغرب الاسلامي[6]، وبعدها خضعت المنطقة إلى سلطة الامارة الأغلبية منذ (148هـ/765م).[7]

---

(1) جيجيك زروق: المسيلة وضواحيها على ضوء رحلة الورثيلاني، الملتقى الوطني الخامس، أعلام تاريخ المسيلة، ص5.

(2) المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، إعداد: عبد الرحمان دويب، دار المعرفة، د:ط ، د:ت، ص398، ويذكر بن ابي دينار حادثة وفاة عقبة رضي الله عنه وأصحابه:(ووصل إلى مدينة طبنة وكان ملكهم كسيلة فتقدمت جيوش عقبة وبقى نفر يسير من أصحابه إلى أن بلغ تهودة.... والتحم القتال بينهم فتكاثر العدو وقتل عقبة وأبو المهاجر ومن كان معهما ولم يفلت إلى القليل) ينظر: (أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني: كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، 1286هـ، ص25).

(3) وادي المسيلة: سمي أيضا بوادي سهر كما قال المالكي (فسماه الناس إلى اليوم، وادي سهر لأنهم سهرو عليه) ينظر: محمد المالكي: رياض النفوس، ج1، تر: رياض البكوش محمد العروسي، دار الغرب، بيروت ط1، 1983، ص37. وسمي أيضا بوادي سمر، ووادي المسيلة المعروف بوادي القصب كان يسمى في تلك الحقبة بوادي السمر. ينظر: (منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، طبعة خاصة، ص78).

(4) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان والبقي بروسفال ، دار الثقافة، الثقافة، بيروت، ط3، 1983، ص24.

(5) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د:ط، 1985، ص172.

(6) حسن مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط2، 1997، ص64.

(7) كمال بيرم: مدخل إلى تاريخ مدينة المسيلة، ص78.

ولقد شهدت المنطقة تغيرات أخرى، تمثلت في انتشار الشيعة الإسماعيلية وخروجها نحو بلاد الأوراس مرورا بطبنة حيث سيطرت عليها بعد أن حاصرت الأغالبة بهاــ وفتحت المدينة أمام الفاطميين.[1]

تأسيس مدينة المسيلة:

يذكرها ياقوت الحموي على أنها مدينة بالمغرب تسمى المحمدية اختطها أبو القاسم محمد ابن المهدي في سنة 315 وهو الذي يلقب بالقائم بعد المهدي من المنتسبين إلى العلويين الذين كانوا بمصر[2]، أما القلقشندي فيؤكد أن من بناها هم الفاطميون حيث قال: "وهي مدينة محدثة، بناها القائم الفاطمي سنة خمس عشر وثلاثمئة"[3]، وأما البكري فقال عنها: "مدينة جليلة على نهر يسمى نهر سهر أسسها أبو القاسم اسماعيل بن عبيد الله سنة ثلاث عشرة وثلاثة ماية وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي واستعمله القائم عليها.[4]

واختلف المؤرخون في شأن تحديد التاريخ الذي أقره البعض سنة (315هـ/ 925م)، أما من بناها فيذكر أبو الفداء: مدينة المسيلة محدثة بناها الخلفاء الفاطميون خلفاء مصر ولها نهر يمر بغربيها .... ومدينة المسيلة محدثة أحدثها القائم بالله الفاطمي سنة خمسة عشر وثلاثمئة سماها المحمدية[5].

---

(1) صليحة رحلي: المسيلة وجهتها في العصر الوسيط، ص27.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج5، دار صادر، بيروت، د:ط، 1977، ص130.

(3) أحمد القلقشندي: صبح الأعشي، ج5، دار الكتب الخلدونية، القاهرة، د:ط، 1915، ص107.

(4) أبي عبد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص59.

(5) أبي الفداء: تقويم البلدان، ص139.

وأخذت اسمها المحمدية لفترة قصيرة قبل أن تعود بالاسم القديم وهو المسيلة[1]، وقد كلف على ابن حمدون ببنائها.[2]

ويذكر ابن حوقل:" هي مدينة محدثة استحدثها علي بن حمدون الأندلسي أحد خدام آل عبيد الله وعبيدهم[3]، وقد عرفت ازدهار ونشاط في عهد بني حمدون ومن جاء بعدهم.[4]

وفي أواخر القرن العاشر ميلادي بدأ يقل نجم بني حمدون بمدينة المسيلة من خلالهم بدأت المسيلة تأخذ طريق التقهقر والأفول، وتحولت إلى مدينة بسيطة تحت إمارة بنو زيري في أشير ثم الحماديين بالقلعة.[5]

وقلعة بني حماد تعتبر من أعاظم القلاع التي أنشأها المسلمون في تاريخهم، فكانت عاصمة الدولة الحمادية[6] لكن دخول الهلاليين للمغرب الأوسط انزلوا خرابا بالغا بالغا حيث ان غزوة بني هلال قضت على عمرانه وعلى جهود الدول الماضية في بناء حضارته في المقابل فقد غير بنو هلال التكوين البشري فأصبحت العروبة أغلب عليهم من البربرية.[7]

---

(1) كمال بيرم: مدخل إلى مدينة المسيلة، ص96. وذكر حسن الوزان مدينة المسيلة على أنها عتيقة بناها الرومان في قحوم صحراء نوميديا ينظر: (حسن الوزان: وصف افريقيا، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1983، ص52). كما قال عنها كربخال مارمول أنها مدينة عريقة في طرف نوميديا، تحيط بها أسوار جيدة عتيقة من بناء الرومان، وهذا يبين أن مدينة المسيلة كانت موجودة من تأسيس المحمدية ، المحمدية الفاطمية لم تكن الاضاحة جديدة ينسب على حافة المسيلة في موقع لاشياخ. كمال بيرم، مدخل إلى تاريخ المسيلة، ص96.

(2) طاهري فاطيمة: مدينة المسيلة النشأة والتطور من خلال كتابات الرحالة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الملتقى الوطني الخامس، أعلام تاريخ المسيلة، ص4.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 85.

(4)منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص86.

(5) كمل بيرم: مدخل إلى تاريخ المسيلة، ص139.

(6) أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين .

(7) حسن مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص171- 177.

ومع بداية القرن الثاني عشر ميلادي خضعت المدينة لسلطة الموحدين، وفي أواخر حكمها شهدت تفككا انتهز بنو حفص الفرصة ليبسطوا نفوذهم على المغرب الأوسط ويسيطروا على بجاية وإقليم الزاب بما فيها المسيلة.[1]

أما في فترة الحكم التركي فقد دخلت المسيلة الحكم العثماني منذ 1550م، وقد احتلت مكانة مميزة وذلك لموقعها الاستراتيجي فأقاموا بها حامية تركية أو نوبة عسكرية[2]، حيث ذكرها مارمول كربخال فقال وهي تحت حكم الأتراك، بنى بها صالح رايس قلعة بها حامية مكونة من بعض الفرسان يحرسونها[3]، وتصاهر العديد من أفراد هذه النوبة مع عائلات منها واختاروا الاقامة في حي خاص في البداية سمي بحي الكراغلة[4]، وعندما دخل جيوش فرنسا إلى المسيلة وجدها تحت سلطة المقراني باسم السلطة الفرنسية وفي 29ماي 1841م دخلت فرنسا للمسيلة فعليا بقيادة الجنرال بيدوا وقائد الفرقة المحلية للمسيلة أيرد.

---

[1] صليحة رحلي: المرجع السابق، ص115 - 117.

[2] بيرم كمال: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني، ص81.

[3] كربخال مارمول: افريقيا، ج2، تر: أحمد التوفيق وأخرون، دار المعرفة، الرباط، د:ط، 1988، ص381.

[4] بيرم كمال: المرجع نفسه، ص81.

الفصل الأول:

الحياة الاجتماعية في الحضنة خلال القرن 19

تمهيد:

المبحث الأول: التركيبة الإجتماعية للحضنة

السكان في منطقة الحضنة

البدو والرحل

الحضر

الأوربيين واليهود

المبحث الثاني: المجتمع الحضني عشية الإحتلال الفرنسي

الإحتلال الفرنسي للمنطقة

أهم الإنتفاضات ضد الإحتلال

تأثير الإحتلال على منطقة الحضنة

تشكلت التركيبة الإجتماعية للحضنة وفق أحد أشكال النظام الاجتماعي، ألا وهو العرش وهو حقيقة اجتماعية وثقافية واقتصادية تبدوا فيه روح الجماعة والانتماء الواحد إلى الجد المشترك، رغم اختلاط الأنساب بسبب المصاهرات وسياسة فرض الألقاب الاستعمارية. وهناك من الفرق الوافدة قد امتزجت مع القبائل الحضنية امتزاجا سياسيا، حيث كانت بداية تشكيل هذه العروش منذ النصف الثاني للقرن11 إثر الزحف الهلالي، مما منح المنطقة تنوعا في المزيج السكاني ووجدت في اسم العرش القوة التي تحميها وتعينها على مواجهة الأخطار، وقد عمدت الإدارة الاستعمارية بعدة طرق ووسائل من أجل تحطيم البنية الاجتماعية القبلية في المجتمع الجزائري عموما وأعراش الحضنة خصوصا.

المبحث الأول: التركيبة الاجتماعية للحضنة:

1. السكان في منطقة الحضنة:

إن عدم استقرار الأوضاع السياسية، يجعل من الصعب معرفة القبائل التي سكنت منطقة الحضنة وخاصة قبل الفتح الإسلامي، وتعتبر فترة ما بعد الإسلام أكثر وضوحا من الفترات الأخرى، لأن الفتح الإسلامي جلب معه جاليات عربية إسلامية استقرت في القرن الثامن مع سكان مدينة طبنة[1]، فيقول اليعقوبي: " مدينة الزاب العظمى، طبنة وهي التي ينزلها الولاة وبها أخلاط من قريش، والعرب، والجند، والعجم، والأفارقة والروم والبربر...".[2]

---

[1] رحلي صليحة: المرجع السابق، ص28.

[2] أحمد بن أبي يعقوب: البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص 190.

فقد سكنت المنطقة قبائل من البربر، ذكرت أسماؤهم عند كثير من المؤرخين.[1]

يقول البكري:" وبقرب منها جبل عجيسة وهوارة وبني برزال، ولهم كانت أرض المسيلة...".[2]

ويضيف ابن حوقل " وعليها من البربر بنو برزال وبنو زنداج وهوارة ومزاتة..."[3]

2. قبائل البدو الرحل:

وهي العناصر التي تقطن إقليم الحضنة منذ فترات قديمة قد تعود الى ما بعد الهجرة الهلالية والمحصورة بين جبال الحضنة شمالا وغربا وواد بريكة شرقا إلى جبال بوسعادة جنوبا وتمتاز بالتنقل و الترحال و تربية الماشية وتضم:[4]

عرش أولاد ماضي :

ينحدر عرش أولاد ماضي بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف من بني قرة بن أبي ربيعة بن نهيك الهلالية التي استقرت منذ القرن 12م، وحسب ابن خلدون أن أثبج هو ابن ربيعة ابن نهيك بن هلال[5]، وتتفق الرواية الشفهية والتاريخ حول ذلك مع اختلاف في التفاصيل، فالرواية الشفهية تقول أن أولاد ماضي ينحدرون من ماضي بن مغرب الهلالي قائد قرة – وهي بطن من بطون الأثبج حسب ابن خلدون– الذي استقر ببرقة في خلال

---

(1) لقد تطرقت الأعمال الجغرافية وبالأخص مؤلفات المشارقة مثل اليعقوبي وابن حوقل، وكتب المغرب الإسلامي مثل البكري، الإدريسي، الحميري، إلى مختلف القبائل التي كانت تعيش في المنطقة وكذلك الخصائص الرئيسية لهذه الفئة من السكان وهي وجود القبائل البربرية والعربية، التي جمعت بينهما علاقات سلمية أحيانا وغير ذلك في أحيان أخرى، ويتحكم في ذلك الكثير من الأحيان التحالفات التي كانت تعقد ثم تحل بنهما نتيجة الظروف السياسية التي تعيشها تلك القبائل، ومحاولة كل منها السيطرة على الأراضي الخصبة للحضنة. ينظر: (صليحة رحلي: المرجع نفسه، ص28).

(2) أبي عبد الله البكري: المصدر السابق، ص59.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص59.

(4) بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ،ص233.

(5) عبد الرحمان ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، دار الفكر، 2000، ص30.

الهجرة الهلالية الثانية وأقامت هذه القبيلة أولا في إقليم الزاب ثم استقرت بعدها بمنطقة المسيلة التي وجدت بها قبائل العريب والزناخرة وأولاد علي بن داود والدواودة[1]، وتقول رواية أخرى أن أولاد ماضي ينسبون إلى ماضي من بني قرة[2]، التي هي فرع من العمور وهم مجموعة ارتبطت بالأثبج ونجد اسمهم قد أطلق على المكان المعروف بعين ماضي بالأغواط.[3]

وتقول رواية ثالثة أن ماضوي هو مؤسس القبيلة، وقد جاء من تونس مع عائلته إلى سد الغابة جنوب المسيلة في القرن 6 هـ / 12 م وهي رواية كان يرويها بعض الأهالي سنة1856، ويذكر ابن خلدون أن أولاد ماضي كانت مواطنهم حيال جبال الأوراس[4]، وتمتد أراضيهم غربا حتى تشمل غمرة، وقد اندمجت مجموعات كثيرة في أولاد ماضي كما هو شأن مجموعة من العريب وفرق أولاد معتوق وأولاد سليني والعكاكلة ومجموعات من أولاد بوقاهية والخباطنة ، كما وجدنا المعاريف – وهم فرع من العريب كما سنرى– قد اندمجوا في فرقة أولاد عبد الحق ، واستطاع أولاد ماضي فرض سيطرتهم على الحضنة الغربية ، ويشكّل أولاد منصور أو ماضي ببرج بوعريريج قسما من قبيلة أولاد ماضي. ويشتمل عرش أولاد ماضي على عدة فرق هي:[5]

– أولاد علي بن خالد شلال: (بوعزيز، علاهم، زراد. واعر، العلا، لصفر، سحنون)

– أولاد يحي بدوار شلال.

– أولاد سي سليمان بدوار بريبري.

---

(1) بيرم كمال: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني، ص261.

(2) يذكر ابن خلدون أن ماضي كان متزوجا من الجازية أخت سرحان قائد الأثبج . ينظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص31.

(3) بيرم كمال: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني، ص262 .

(4) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 30.

(5) بيرم كمال: الاوضاع الاجتماعية ، ص233.

- أولاد سديرة بدوار بريبري.

- أولاد معتوق بدوار سعيدة: (بريش، لخنش، يحي، خنيبة، قانة)

فرع أولاد عيسى (مسقم، بوزيدي، بعلي)

فرع دحادحية (دحدوح، مكيدش)

- أولاد عبد الحق بدوار سعيدة: (بوضياف، خرموش، لعمارة، بتقة، بوعبان، بورنان، غيروس، نويقة، قرنة).[1]

- أولاد سيدي حملة بدوار مسيف.

- أولاد منصور بن مهدي بدوار لقمان وتارمونت. ولكن المصادر تقول أن أولاد ماضي الحقيقيين اليوم هم:

- أولاد عوار وهم فرقة صغيرة من أولاد علي بن خالد.

- أولاد بويحي.

- الخباصة.

- أولاد قانة من فرقة أولاد معتوق.

- قسم من أولاد عبد الحق وأولاد بديرة بما في ذلك عائلة بوضياف.[2]

---

[1] بوجمعة هيشور: انتولوجيا أعراش الجزائر (بحث في الجوانب الخفية لجذورنا التاريخية)، مجلة الآداب، العدد02، ديوان المطبوعات الجامعية بقسنطينة، 1995، ص225.

[2] بيرم كمال: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني، ص263.

عرش أولاد دراج:

مجموعة قبائل ترجع أصولها إلى هلال[1]، من بطون قريش وهم من بني أسد بن عبد العزي بن قصي، ينسب العرش إلى سيدي عثمان "دراج" الذي قدم من الساقية الحمراء إقليم وزان في القرن 13م، يقال أن سيدي عثمان الدراجي هو الذي أعطى اسم قبيلة أولاد دراج[2] ، جاء برفقة صديقه سيدي أحمد بوشلاق بعد أن استقروا مدة من الزمن عند سيدي أحمد بن يوسف بمليانة واستقروا بالحضنة بعائلاتهم وكانوا في12 خيمة.[3]

استطاع المرابطان فرض سيادتهما عليها وصارت هذه القبائل الـ12 تعرف جميعا بأولاد دراج وتضيف هذه الرواية أن سيدي عثمان قد حصل من سيدي حملة على حق الإقامة في الحضنة بعد أن قدم له هدية هي عبارة عن100 فرس مسرجة وأولاد دراج الحقيقيين هم ذرية هذه الخيام الإثني عشر لكن مختلف الفرق لا تتفق على هويتهم ويذكر ديبوا أنه من الممكن أن يكون أحد المرابطين قد منح اسمه لهذه القبيلة، و أن قدومه كان بين القرنين 15 و 17م، وشكّل أولاد دراج مجموعة أكبر من قبيلة فهم فسيفساء من الفرق ليس بينها لحمة قوية وفي الغالب غير متجانسة.[4]

كان العرش يضم أربعة فرق هي خلال القرن 12م : أولاد عدي، المطارفة، ولاد دهيم، المعاضيد[5]،الذين انتقلوا من الأراضي التي كانت للعرش الكبير، والتي استحوذ

---

(1) أحمد طالب الابراهيمي: أثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ص 56.

(2) لخضر مغني: مراكز جيش التحرير الوطني بالمسيلة الشرقية أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، تحت اشراف محمد السعيد قاصري، 2014/2013.ص5.

(3) بوجمعة هيشور: انتوبولجيا أعراش الجزائر، 231.

(4) بيرم كمال: الاوضاع الاجتماعية، ص 239.

(5) بوجمعة هيشور: المرجع السابق، ص 232.

عليها أولاد عدي الذين طردوا المعاضيد إلى جبال كيانة[1] التي تعرف بجبال المعاضيد، ومنذ ذلك التاريخ لم تعد فرق المعاضيد مرتبطة بعرش أولاد دراج ولا تحس بالانتماء له بل ارتبطت أكثر بالسكان الجبليين وإقليم التل.[2]

وتمتد قبيلة أولاد دراج من واد القصب وحتى واد بريكة على الشكل التالي:

أولا : المطارفة بدوار المطارفة ثم السوامع بدوار بير عنات وبوحمادو ثم نجد مجموعة أولاد عدي: ففي الشمال الغربي نجد أولاد عدي الظهرة وأولاد دهيم وفرق صغيرة بدوار الجُرف وسلمان وفي الجنوب الشرقي نجد أولاد عدي القبالة وتضم البراكتية وأولاد ولهة وأولاد قاسمية.[3]

طبق على عرش أولاد دراج الإجراءات التي جاء بها قانون سيناتوس كونسيلت Sénatus Consulte، المؤرخ في 22 أفريل 1863م فكانت النتيجة تفكيك العرش وتقسيمه إلى 9 دواوير تضم 33 فرقة وهذه الدواوير هي: المطارفة، أولاد ولهة، أولاد قسمية، البراكتية، سلمان، مرابطين الجرف، كدية ويتلان، أهل الدير، أولاد دهيم، ونتيجة لهذا التقسيم الذي طبق على عرش أولاد دراج منذ 1866 إلى1904 والذي كان هدفه إضعاف قوة الجزائريين بتفكيك الروابط التي تجمعهم حتى يتمكنوا، من السيطرة عليهم وإخضاعهم. كما امتزج بعرش أولاد دراج فرق عديدة تعود إلى أصول عربية هلالية:[4]

– كفرقة المطارفة: وهي قبائل بني زغبة من بني هلال وتضم مجموعة من العائلات كأولاد صيف والبراكتية، وأولاد علي وأولاد سلامة، أولاد دهيم وأولاد لقبال.

---

[1] كانت السلسلة الجبلية الواقعة بين بوعريريج والحضنة تسمى في عهد البربر جبل كيانا، أو جبل عجيسة، نسبة إلى تسمية سكانه، وابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي أصبحت تحمل اسم جبل عياد وهو اسم الذي لا يزال يحمله السكان إلى اليوم، بالتوازي مع اسم المعاضيد على أنقاض القلعة التي أصبحت تدعى اليوم دشرة أولاد سيدي فاضل. ينظر: (لويس رين: تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر، دار الرائد للكتاب، د:ط، د:ت، ص13).

[2] بيرم كمال: المرجع السابق، ص242 .

[3] بيرم كمال: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني، ص 272.

[4] سامية ديفل: المرجع السابق، ص12.

- فرقة أولاد عدي لقبالة: وتضم مجموعة من العـائلات: أولاد قاسـمية، أولاد دبابـة، البراكتية، الجلايل أولاد مهيدي، أولاد سعيد- الزواتنية.

- فرقة السوامع: وهم قبائل الأثباج بني هلال وتظم كل مجموعات عائلات كبيرة مثـل: أولاد عثمان، أولاد غنايم، أولاد عمر، أولاد حديدان، أولاد عبد الله، النوذاني، المهيات.[1]

أما العروش المجاورة للحضنة الغربية و تمثل أهم عروش الحضنة الشرقية ، نجد منها عرش أولاد سحنون الذين ينفرون من أي صلة بـأولاد دراج ويقيمـون بالحضـنة الشرقية ، وهم ينحدرون من أولاد مولات ويشير الباحث عبد الكريم عـوفي أن هنـاك مخطوطة تعود للعهد العثماني وأورد هذا المخطوط أن سحنون ينتسب إلى قبيلة مـولات التي ترجع في الأصل إلى بني الأحمر في الأندلس إذ أنهم لما طردوا منها اتجهوا إلـى جنوب المغرب ومنه اتجهوا إلى جنوب الجزائر واستقروا في توقرت وبعدها اتجهوا إلى منطقة الزاب ثم لجؤوا إلى قلعة بني حماد بالحضنة ثم خرجوا منها قاصدين جبل بوطالب وبعد سنوات عاد سحنون إلى الحضنة بعد أن تزوج وكان ذلك خلال القرن 17 م حيث استوطن مع أسرته مناطق في الحضنة الشرقية وتقول الرواية أن سحنون بن شينون قـد عمل راعيا عند سيدي بركات وهو مرابط من بوطالب، وتضيف الروايـة أن سـحنون تزوج بامرأتين هما :هنية وبروكة، أنجب من الأولى ستة أبناء هم : محمد و عبـد الله وعمار وعلي وسليمان ومسعود ، وأنجب من الثانية ثلاثة أبناء هم : عبد الرحمن وأحمد ومبارك ولما كبرت أسرته استقر سحنون في نواحي مقرة عند أولاد زميرة، ودخل أولاد سحنون في صراع مع أولاد دراج و أولاد نجاع و كان صراعهم محتدما على الخصوص مع أولاد اعمر الذين يزعمون أنهم كانوا يشغلون في الماضي منطقة بريكة التي طردوا منها السوامع.[2]

---

[1] بوجمعة هيشور: المرجع السابق، ص233.

[2] بيرم كمال: الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ص 244.

كما دخلوا أيضا في صراع مع أولاد منصور ثم مع السوامع الذين استقدمهم إلـــى المنطقة المرابط محمد بن الحاج المدوكالي ليزرعوا معه نصف الأراضي التي منحها إياه الأتراك، و ظل أولاد

سحنون أسياد هذه المنطقة في القرن 18 م. وتضم قبيلة أولاد سحنون حاليا الفرق التالية:

- أولاد محمد.
- أولاد عمار.
- أولاد عبد الله.
- أولاد أحمد.
- أولاد عبد الرحمن :والذين ينقسمون بدورهم إلى ست مجموعات هي:
- أولاد شريفة.
- العياضات.
- الثعالب.
- العمسية.
- الدرامنة.
- أولاد مبارك.[1]

الأعراش والفرق المرابطية والشريفة بالحضنة :

عرش سيد ي هجر س

قبيلة أولاد سيدي هجرس التي تنحدر من قبيلة محمد بن علي المسمى سيدي هجرس بن المسعود بن عبد العزيز بن سالم بن أحمد بن علال بن جابر بن أحمد بن علال بن أبو القاسم بن جعفر بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامـــل بـــن الحســـن

[1] بيرم كمال: من تاريخ الحواضر الشرق القسنطيني، ص280.

المثنى بن الحسن بن علي كرم الله وجهه وهذه القبيلة جاءت في القرن الثاني عشـــر أو الثالث عشر من فاس بالمغرب وهي عائلة شريفة، ويتكون عرش سيدي هجرس من عدة فرق:

أولاد عمر: منهم بلمجنح ، بن عمرة

أولاد عيشة: منهم مالكي ، بن سنوسي ،عبداللاوي

أولاد عيسى: منهم قريشي ، بن عزيز

أولاد سي خربوش: منهم بلحفصي بن رابح

أولاد محمد بن سعيد: منهم بوشارب ، سعيدي ، صالحي

أولاد ناقب: حمراوي، شعباني، بن حميدة

أولاد تواتي بلجغلولي بلخيري ،زيداني ،بلحاج،حاجي ، بن غانية، زمامتة.

أولاد علي بن زميت وهم بلعمري ، بن سعد ، وعيل ، بن محاد، بن عبد الكريم.

او اولاد سيدي محمود بوفالة الذي يعود اصله الى مدينة ازمير التركية.[1]

عرش سيدي حملة:

يعتبر أولاد سيدي حملة من أقدم العناصر التي استقرت بالحضنة وهم ينتسبون إلى الأشراف.

حسب الذاكرة المحلية ، والجد الأول سيدي حملة جاء للاستقرار بالمنطقة في القرن 12م، ومن المحتمل أن ذلك تم خلال التوسع الموحدي، وحسب الروايات المتداولة فقد وصل إلى سد الغابة جنوب المسيلة ثم قام بزراعة المنطقة بالزيتون وبعـــد فتـــرة أقـــام معصرة زيت، وتنسب لسيدي حملة الكثير من الكرامات منها إفاضته لوادي القصب لمنع السلطان عثمان ثم إيقافه للفيضان ليعبر هو، وأمام هذه الكرامة اضطر السلطان عثمـــان

[1] بيرم كمال: الاوضاع الاجتماعية، ص 246.

للاعتراف بقداسة سيدي حملة ومنحه هو وأتباعه حق استيطان الحضنة الغربية مع إعفائه من الضرائب، وقد دفن سيدي حملة قرب سد الغابة.[1]

3. السكان الحضر/الاهالي.

تتمركز المجموعة الحضرية المستقرة في مواضع محدودة كمدينة المسيلة و قصبة بني يلمان و قلعة بني حماد وقرية الديس بأولاد سيدي ابراهيم و قرية سيدي هجرس، و هي مجموعات استقرت منذ فترة سابقة للاحتلال الفرنسي و احترفت الزراعة و التجارة و الصناعات التقليدية وهي بذلك مميزة في اشياء كثيرة عن الأعراش الرحل من حيث العادات و نمط المعيشة و أساليب الحياة وعلاقاتها ببعضها و بأصولها البربرية وتعتبر مدينة المسيلة أهم تجمع حضري أصبح مركز الحضنة الغربية الإداري و الإقتصادي والإشعاع الثقافي.

سكان مدينة المسيلة:

تختلف التركيبة البشرية لمدينة المسيلة عن باقي المجموعات المحيطة بها ، ليس من حيث أنها حضرية فحسب بل من حيث الجذور التاريخية لأصول عائلات مدينة المسيلة ، و حتى الغموض الذي يطبع البحث في نسب سكان المدينة ، ونلمس هذا في انعدام الكتابات التاريخية من جهة، وفي إمتزاج السكان بالعنصر التركي ، مما يصعب على الباحث تحديد حقيقة الأصول الإتنولوجية للسكان، لقد جمعت المدينة عناصر مختلفة من السكان ذات أصول متباينة تشكلت في إطار مجتمع متباين من حيث المستوى المعيشي والرتبة الاجتماعية قبل الاحتلال الفرنسي وخلاله.[2]

---

[1] بيرم كمال: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني، ص291.

[2] بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية، ص 251.

وقد ذكر حسن الوزان في كتابه وصف افريقيا خصوصية سكان مدينة المسيلة عن غيرها من القبائل الأخرى والتي أطلق عليها اسم الأعراب[1]، وهذا التميز جعل الاندماج صعب و استمر كذلك الى فترات متأخرة من الاحتلال الفرنسي، ومنذ القرن 17 تشكلت بفعل انتصاب الإدارة التركية بالمدينة جماعة الكراغلة التي سكنت الجهة اليسرى للوادي بمقربة من مقام سيدي بوجملين وتزاوجت عناصرها بأهالي المدينة واستحوذت على الأراضي الخصبة والمياه والسدود التي مازالت تحمل إلى اليوم أسماءها، وارتفعت كثافتهم ليصلوا إلى نصف سكان المدينة.[2]

فأهل مدينة المسيلة كان يطلق عليهم بالحضر أو أهل المسيلة، وكانوا عشية الاحتلال الفرنسي كما جاء في وصف كتاب دوما Daumas أنهم مجمعين في الأحياء القديمة أو العتيقة بين400 – 500 مسكن كانت موجودة خلال بداية الاحتلال 1845م وهم مزيج من عائلات عديدة، توافدت إلى المدينة من جهات مختلفة وفي فترات وظروف تبقى إلى حد كبير مجهولة، فعدد من العائلات جاؤوا من قلعة بني حماد ، و أخرى من بوسعادة ، أو من سيدي هجرس، ولعل أسماء الأحياء تدلنا على اختلاف أصول السكان بحيث نجد حي أهل المسيلة وحي أولاد بوجملين وحي الكراغلة كما أن المدينة ضمت وسطها عدد من العائلات اليهودية التي انتقلت من فاس مع فرقة أولاد معتوق وتوزعت بين بوسعادة والمسيلة منذ القرن17 وكونت بين 7 – 8 عائلات اندمجت مع العرب المسلمين، وأخذت عاداتهم وطبائع حياتهم المنتشرة رغم أنها حافظت على بعض طقوسها العقائدية دون الوصول إلى حد التصادم أو الصراع مع بقية الأهالي، رغم تحولهم إلى الجنسية الفرنسية بعد قانون كريميو 1870 ، ومعظم العائلات اليهودية تعيش في حي يعرف برحبة اليهود بحي الشتاوة والعرقوب إلا أن الجماعات اليهودية التي توافدت بعد

---

[1] حسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف افريقيا، ج1، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1989، ص52.

[2] بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية، ص 252.

بناء مركز الاستيطان الخاص بالمعمرين في الحي الجديد للمدينة ،قد استقرت به واستحوذت على أهم النشاطات التجارية والصناعية وملكت العقارات داخل المدينة أما **الكراغلة:** وهم المنحدرون من أصول تركية وأمهات جزائرية فقد تركزوا في الحي الذي استمر يحمل اسمهم على الجهة اليسرى لوادي القصب وكونوا فئة راقية مميزة في مجتمع المدينة بما ملكوه من أراضي فحص المدينة و أراضي البايلك الخصبة، ونفوذ على بقية السكان خلال الفترة التركية، كما تركزت مجموعة منهم على الجهة السفلى للوادي وتحمل اسم حي أولاد سيدي محمود بوفالة ،التي تنتسب إلى سيدي محمود بوفالة التركي الذي انتقل من أزمير وكون فرقة من الكراغلة بقيت تحمل اسمه إلى اليوم.[1]

وقد بدأ استقرار الأتراك بمدينة المسيلة منذ النصف الثاني للقرن 16 عندما تكونت حامية عسكرية لهم بالمدينة، و تصاهر الجنود الأتراك بالعائلات المحلية واستقروا بحي خاص بهم عرف بحي الكراغلة أو رأس الحارة ثم ظهر التزاوج بين العائلات الكرغلية والعائلات العربية بحي الشتاوة وخربة تليس، ثم انتقلت عائلات أخرى من الكراغلة إلى الحي الموجود على الجهة اليمنى الوادي القصب المسمى بحي الكوش ، في حين استمر حي العرقوب بعيدا عن أي اتصال أو مصاهرة للكراغلة.[2]

4. الأوربيون و اليهود:

تاريخ التواجد الأوروبي في الجزائر، يرتبط ارتباطا وثيقا مع عملية الاحتلال التي تمت في صيف 1830، وإذا تطرقنا إلى تاريخ استقرار السكان الأوربيين في الجزائر أو

---

[1] بيرم كمال : الاوضاع الاجتماعية، ص 253. ينظر كذلك إلى:

Despoi,J. le hodna, p 345.

[2] بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية، ص254.

بالأحرى بداية نزوحهم نحو الجزائر، فإننا نلاحظ التزايد الطبيعي لهم حتى 1936، ثم بدأت في التراجع بعد هذا التاريخ لأسباب سياسية.[1]

وحل النازحون الجدد بالجزائر قادمين في معظمهم من فرنسا، اسبانيا ايطاليا، مالطا ، ألمانيا، سويسرا ومن هؤلاء نتج مجتمعا أوروبيا[2]، أما منطقة الحضنة فضلت منذ بداية الاحتلال الفرنسي لها 1840، بعيدة عن استقطاب المعمرين الفرنسيين الذين لم يزد عددهم بداية الاحتلال عن 9 أفراد سنة 1845، ولعل ذلك نرجعه الى مسألة حركة الاحتلال وما رافقها، ولم يرتفع هذا العدد إلا بعد تحول المدينة إلى الإدارة المدنية بتكوين بلدية المسيلة المختلطة سنة 1884 ، حيث وصل عددهم إلى 120 نسمة وتبدو زيادة المعمرين ضئيلة مقارنة بالمدن المجاورة كبوسعادة وبرج بوعريريج، بحيث لم يتعدى عددهم العنصر الاوربي عن 453 سنة 1912 ليرتفع قليلا بعد عقدين من الزمن إلى 559نسمة قبل الحرب العالمية الثانية 1939 وكان استقرار المعمرين بالأراضي التي صودرت من الأهالي عقب ثورة المقراني 1871 ، وعلى الأراضي الخصبة على وادي القصب بموضع سباغ الغربي.[3]

اليهود:

تواجد العنصر اليهودي بشمال افريقية يعود الى فترات قديمة تتصل بزمن الفينيقيين، وهذا التواجد مرتبط بالنشاط التجاري الذي كانوا يحترفونه، و قد حل بالمنطقة يهود من مختلف الجنسيات و القوميات و لذلك ذهب بعض الدارسين الى جعل اليهود جزءا أساسيا من النسيج الاجتماعي العام الذي يميز شمال افريقية.

---

[1] بغدادي هنية: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر ما بين 1945 - 1954م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، في تاريخ الحديث والمعاصر، تحت اشراف: بيرم كمال، 2012 - 2013، ص 10.

[2] بغدادي هنية: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر ما بين 1945 - 1954، ص10

[3] بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية، ص 255.

هجرات اليهود الى المنطقة لم تتوقف سواء كتجار ام كأسر استقرت بها و الفرق التي قدمت من أوربا تعرف بالسفرديم جاءوا على مراحل خاصة بعد احداث صقلية في نهايات القرن الرابع عشر الميلادي و بعد قرارات الطرد التي اتخذها الاسبان ضدهم بعد سنة 1492.

إن المعلومات المتوفرة حول أصول و أوضاع اليهود أو الطائفة اليهودية بالجزائر قليلة، و تذكر بعض المصادر نقلا عن روايات شفاهية لبعض السكان المحليين ان فرقة اولاد معتوق التي تنتمي الى أولاد ماضي تنحدر من شخص مغربي يدعى يعقوب قدم من فاس الى المنطقة و معه عائلات إسرائيلية تحت حمايته استقرت بالمسيلة و بوسعادة.[1]

وشاهد احد الضباط الفرنسيين خلال إقامته ببوسعادة عدة تجار يهود قدموا من التل الجزائري و بالضبط من بني عباس للاستقرار بها لأنهم وجدوا بها سوقا مربحا، ويضيف بعضهم أن هناك أسر يهودية قدمت من جربة التونسية مثلهم مثل يهود بني ميزاب لانهم تقريبا من نفس الأصول.[2]

المبحث الثاني: المجتمع الحضني عشية الإحتلال

1. الاحتلال الفرنسي لمنطقة الحضنة :

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة1830م وخلال مقاومة الأمير عبد القادر(1832 – 1847)، مد الأمير عبد القادر نفوذه إلى مناطق الوسط والشرق الجزائري وجعل

---

[1] خميسي سعدي: بوسعادة في العهد الاستعماري 1849 – 1939، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر(المقاومة الوطنية والثورة)، جامعة الجزائر، 2016 – 2017، ص 130.

[2] خميسي سعدي: بوسعادة في العهد الاستعماري 1849 – 1939، ص130.

بعض أجزائه ولاية جديدة، مثل ولاية الزيبان والصحراء، وإتخذ من الحضنة قاعدة للمقاومة[1]،

وذكر أحمد بن العربي[2] في تقيداته هذا الأمر فقال: " فالقرن الثالث عشر فنقول أولا: قدوم الأنصار إلى وطن الجزائر على الثغرين، وظهر عليهم شريف اسمه السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين فمكث في حربهم تسعة أعوام وأسرى سنة 1263هـ ، وسنة 1267هـ سرحوه ومشى إلى الشام ومازال بها الآن إلى سنة 1282هـ"[3]

وقد قامت السلطات الفرنسية بعدة حملات وإتخذت مدينة سطيف قاعدة لإحتلال منطقة الهضاب العليا، ومن تلك الحملات الحملة التي قادها نيقرية Négrier في ماي 1841م بإتجاه المسيلة، وتمكنت القوات الفرنسية من دخول مدينة المسيلة في 11 جوان 1841.[4]

واجه سكان الحضنة هذه الحملات بانتفاضات شعبية نخص بالذكر ما وجد في تقيدات أحمد بن العربي.

2. أهم الإنتفاضات من خلال الوثائق:

2-1 إنتفاضة أولاد عمر بزعامة محمد بوخنتاش 1860:

ظهرت هذه الانتفاضة المحلية في عرش أولاد دراج شرق مدينة المسيلة وامتدت إلى الشرق في عرش أولاد سحنون وشمالا إلى فرقة أولاد سيدي منصور بجبال الحضنة،

---

[1] نور الدين مقدر: منطقة الحضنة من خلال رحلتي بول أودال ودي غالون في أواخر القرن 19م، الملتقى الوطني الخامس، تاريخ أعلام المسيلة، من 5 إلى 7 ديسمبر 2016، ص1.

[2] أحمد بن العربي بن محمد من بركات ولد سنة 1846 بولاد دراج بلدية أولاد عدي لقبالة بالمسيلة ينظر: (الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك – وثائق لم تنشر – تقييدات أحمد بن العربي عن أحداث الستينات من القرن التاسع عشر، أولاد دراج، د:ت، د:ط).

[3] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع نفسه.

[4] نور الدين مقدر: المرجع نفسه، ص2.

وتزعم الحركة أحد شخصيات فرقة البراكتية المدعو الشيخ محمد بوخنتاش سنة 1860[1]، تحدث أحمد بن العربي في تقيداته عن هذه الواقعة فقال:" وكانت واقعت محمد بوخنتاش أولاد سيدي الرحاب سنة 1272ه وسبب ذلك أي فيما وقع بهم أحكى التواتر وكرى الخلق في إقليمنا أن رجلا منهم يسمى سي محمد بوخنتاش كان رجلا صالحا وأهلا للعلوم ومتعبد على أهل زمانه فاشتاقت إليه الخلق بسراحته ومالت نفوسها إليه وحكو عنه أمر بالجهاد فجمعت إليه أولاد سيدي الرحاب وشطر من أولاد سيدي عمر وأخلاط من الأعراش أكثر بإبرازهم من أولاد نجاع وأولاد سحنون ومن حاذاه من الجبال.[2]

أغلب الكتابات الفرنسية التي تناولت المقاومات الشعبية بالجزائر، تبرز البعد الأسطوري لشخصية بوخنتاش البراكتي، وتبعد الدوافع الحقيقية لمثل هذه الانتفاضات والمرتبطة بالاحتلال ومستجداته على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي.[3]

لم يكن لهذه الثورة أي سبب آخر إلا رفض الإحتلال الصليبي على غرار كل الثورات السابقة وحتى اللاحقة[4]، هذا فيما يخص أسباب الانتفاضة أما عن مجرياتها فيتابع أحمد بن العربي سرد تطوراتها:" فجمعوا بلاد يقال لها أم عمر أوفي خنق أحمام.... ضجة في الحضنة ونفرت لسواق وارتدعت لعراش ولم تجتمع إليهم فسمع بهم

---

[1] بيرم كمال: الاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية بمنطقة الحضنة، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2013، ص52.
أولاد سيدي الرحاب: أشراف أولاد دراج الذين يدعون بالبراكتية. ينظر:(يحي بوعزيز: ثورات القرن التاسع عشر، ص138).

[2] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق، ولثورة بوخنتاش جذور قديمة تعود إلى نصف قرن على ما يحكى فيرو، فقد أشيع بأن جد البراكتية سي محمد بن سيدي بركات، ذكر وتنبأ لهم بأن الفرنسيين سيغزون وهذه البلاد في وقت ما وأن تحريرها سيكون على يد أحد الأشراف الذي سيقدم من المشرق أو المغرب، وبهذا استطاع محمد بوخنتاش أن يتسلم الزعامة تجسيدا وتحقيقا للقصة الشائعة منذ سنوات فأخذ الناس يجتمعون حوله ويتكاثرون وينصتون إلى دعوته للجهاد، على أن مثل هذه الرواية لا يمكن الاطمئنان إليها، إن مثل هذه الأساطير الشعبية على فرض صحة روايتها، لا يمكن اتخاذها سبب أو ذريعة لنشوب حركة مسلحة تحريرية ذات أهداف وطنية ينظر:(يحي بوعزيز: ثورات القرن التاسع عشر، ص138- 139).

[3] بيرم كمال: الاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية بمنطقة الحضنة، ص51.

[4] منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي، وزارة المجاهدين، طبعة خاصة، الجزائر، ص136.

فرنسيس فخرجت إليهم حملة من سطيف وحملة من باتنة فما وقع الحرب بهم ساعة قريبة فيما حكى أنهم انهزموا وخرجو ببر الرجال من البيوت ومن كان سريعا من النساء والغلمان ومات خلقا كثيرا ومن النصارى فيما حوكي وبعد ذلك حكمو سي محمد بن خنتاش... بعد الهروب وحبسوا من كان عينا من الرجال من كل الأعراش وفرقو سيدي الرحاب وطردوهم من بلدهم على أيديهم ...إلى سوق أهراس فيما حكي على غيره... بلغنا أنهم سرحوهم ورجعوا إلى بلادانهم أي الباقي منهم أرجع"[1]. وهنا يتبين لنا أن فرنسا كعادتها مارست القتل الجماعي والتهجير، وكان رد فعل الفرنسي بنفس المبررات والطرق القائمة على القمع والبطش وارتكاب المذابح في حق السكان، وقد قام جيش الإحتلال الفرنسي بقيادة العقيد "بان" بارتكاب إبادة جماعية في حق أولاد عمر.[2]

2-2 انتفاضة أولاد ماضي 1864:

تمثل انتفاضة 1864- 1865 من أهم مراحل المقاومة الشعبية ضد القوات العسكرية، لم تكن فقط متابعة المعارك القائمة طيلة العقدين السابقين ضد القوات العدوانية مقابل هذا التحكم للعدو والاندماج التدريجي للاستيطان داخل المجموعات القروية.[3]

ويصف أحمد بن العربي هذه الانتفاضة في قوله:" وقعت ضجة في أولاد ماضي وما كان غربهم من الأعراش النوايل وغربهم وسيد ذلك قيل بلغنا وتواتر عندنا أن رجلا في الغرب يسمى محمد بن حمزة قايد على عمالته بحرمة النصارى وخرج على طاعتهم بني حكمه من الأعراش[4]، كانت انتفاضة الحضنة والتي يطلق عليها كذلك انتفاضة أولاد ماضي عبارة عن انتفاضة شعبية في إطارها الوطني رغم محليتها لأنها تزامنت مع نداء

---

(1) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

(2) منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي، ص136.

(3) جيلالي صاري: الكارثة الديمغرافية، تر: عمر المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص266.

(4) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع نفسه.

ثورة أولاد سيدي الشيخ بالغرب الجزائري وتلبية لرغبة السكان في رفض الإحتلال[1]، وأكمل بن العربي بقوله: " وأوت إلى طاعتهم من بزاوتهم من الأعراش وساخط الفرنسيس فعاشت الأخطار بالأخبار فوقع التشويس عند أولاد ماضي"[2]، قبل اندلاع الانتفاضة 1864 تم تجمع قبائل الحضنة أولاد ماضي، أولاد عبد الله والهجارس والسلامات في وادي اللحم من طرف القيادات المحلية، في الوقت الذي تحرك فيه عرش أولاد عامر في الجنوب.[3]

وانظم إلى هذه الثورة إبراهيم بن عبد الله ثم تزعمها علما أنه هو والسعيد ابن داود كانا قد كلفا من قبل فرنسا بحفظ الأمن بالحضنة[4]، حيث قال أحمد بن العربي: "وكان إبراهيم بن عبد الله إذ ذاك قائد على السوامع فلما ألح عليهم الحاكم امتنعوا وخرجت محله بن أبي سعادة إليهم فارتحل إبراهيم أبن عبد الله من السوامع ولحق بإخوانه ولاقوا المحلة فحاربوها رجع إلى أبي سعادة وارتحلوا إلى أولاد عامر إلى الغرب فلما بلغوا على ما بلغنا واد اللحم انقسموا شطرين شطر رجع، وإبراهيم استمر على الخروج على الطاعة وجميع من يمر بهم من الأعراش غربية يبايعهم ويرتحل معه حتى جمع خلقا كثيرا[5]، وفي يوم 2 أكتوبر1864م استطاعت القوات الفرنسية أن تقبض السيطرة على الوضع في إقليم الحضنة الغربية حيث حوصر ثوار أولاد ماضي وأولاد عامر في موقع عطف المقام من طرف قوات لابيبر و قينار و مارقيريت وألقي القبض على الفارين وتم الاستيلاء على ممتلكاتهم[6]، وهذا ما ذكره أبن العربي: وانهزموا فارين برقابهم فقط ورجع الكثير للطاعة".[7]

---

(1) بيرم كمال: الاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية بمنطقة الحضنة، ص61.

(2) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي: المرجع السابق.

(3) بيرم كمال: المرجع نفسه، ص63.

(4) بيرم كمال: المرجع نفسه، ص63- 64.

(5) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع نفسه.

(6) بيرم كمال: المرجع السابق، ص68.

(7) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع نفسه.

وكانت نتيجة هذه الحملات المتتالية ضد القبائل المدعمة للثورة قاسية جدا حيث تم حرق محاصيلها الزراعية وتعرضها للقتل الجماعي، وإلقاء القبض على شيوخها وزعماءها ونفيهم إلى المناطق النائية إلى جانب فرض الضرائب التي أرهقت كاهل القبائل، مما دفعهم إلى التخلي عن أراضيهم ومواشيهم لصالح الفرنسيين.[1]

3. تأثير الاحتلال الفرنسي:

كان للاحتلال آثار وخيمة على المجتمع الجزائري عامة والحضنية خاصة وذلك للسياسة الاستعمارية التي انتهجتها حيث عملت على تحطيم البنية الإجتماعية التي ميزت المجتمع الحضني، والذي أساسه الملكية الجماعية للأرض .

1.3. تدهور المستوى المعيشي:

كانت حياة السكان جد مرضية مع عشية الإستعمار[2]، وهذا ما يؤكده أحمد بن العربي: " وكان قبل هذا الزمان من حيث ملكت النصارى برا الجزائر لم يقع قحط بهذه الشدة أبدا وفيها عند دولتهم سابقة على هذا العام إلا الرخاء وكثرة الأموال"[3]، ويمثل النظام الغذائي تجليا صادقا للمستوى المعيشي حيث تؤكد جميع المصادر التي تناولت بالوصف أنماط الغذاء في الريف الجزائري والقسنطيني أن الحبوب وأساسا القمح والشعير يمثلان المادتان الغذائيتان الأساسيتان للسكان، فمنه ما كان يصنع الخبز والكسرة والكسكس هذا الطبق الوطني الذي ارتكزت عليه غالبية السكان الريفيين في غذائهم باختلاف مستوياتهم[4]، لكن مع بداية الإحتلال عرفت المنطقة وسائر القطر الجزائري

---

[1] منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي، ص 139- 140.

[2] مصطفى خياطي: الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، ص31.

[3] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

[4] جمال الدين سعيدان: المرجع السابق، ص73.

تدهور الوضع المعيشي[1]، حيث أن المجتمع التقليدي للحضنة ورث حياة اجتماعية وفق علاقات حددتها رابطة بالعرش وبالأرض والماء والماشية[2]، إلا أن حملات الغزو لإخضاع القبائل قد أحدثت اضطربات في الوضع المعيشي حيث استعملت هذه الحملات من أجل الإخضاع الطريقة التركية، وركزت على إتلاف الأرزاق والإمكانيات المعيشية للقبائل باجتياح الحقول والمراعي وحرقها ونهب وقتل القطعان(سياسة الأرض المحروقة).[3]

3-2 مصادرة الأراضي:

تنفيذا لسياستها التوسعية أعلنت سلطة الاحتلال، رغم تعهدها باحترام ممتلكات الأهالي، عن إصدار قانون يحدث قطاع أملاك الدولة تحت اسم الدومين Domoine، وضمت إليه بموجب مرسوم 8 سبتمبر 1830م ، أراضي الحكام العثمانيون من الدايات والبشوات والبايات وبعض الكراغلة الذين قد طردتهم فرنسا إلى تركيا.[4]

كما أصدرت مجموعة من القوانين والتشريعات العقارية التي بموجبها صادرت أملاك سكان الجزائريين نذكر أهمها:

- مرسوم 22 جويلية 1834: نص على إلحاق الجزائر واعتبارها جزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي.

- مرسوم 1841: أصدر قرار يقضي على أراضي الأهالي الثائرين ليستفيد منها المستوطنون الأوربيون.

---

(1) منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي، ص 187.

(2) بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية، ص 63.

(3) جمال الدين سعيدان: المرجع السابق، ص74.

(4) منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية: المرجع نفسه، ص189.

– قانون 16 يونيو 1851: نص خاصة على حق الدولة في حيازة أراضي العروش إذا اقتضت خدمة الصالح العام والاستيطان كذلك.[1]

تعرضت الحضنة ككل إلى عمليات مصادرة واسعة شملت معظم العروش والأفراد، امتازت بطابعها القهري الجماعي الذي لم يستثني حتى الأشخاص والجماعات.[2]

قرار المشيخي 22 أفريل 1863 يعتبر منعرج حاسما في تاريخ الملكية العقارية بالجزائر لما نتجت عنه أثار بليغة الخطورة على مستقبل البنية الاقتصادية والاجتماعية للإنسان الجزائري[3]، ، واستبدل حق استفادة القبائل الجزائرية من أراضي العروش بملكيتها وفرض تقسيمها بعد ذلك على الدواوير والأفراد لتفتيتها، وتحويلها إلى ملكيات فردية.[4]

أدى تطبيق هذه المراسيم الخاصة بالأرض إلى إلغاء كيان القبيلة كوحدة أساسية يقوم عليها النظام الاجتماعي فتفتت إلى دواوير بفعل تحديد أراضيها وإخضاعها للبيع، ،أصبح الفرد بعد أن لم تعد القبيلة تحميه وتقدم له العون أعزلا في مواجهة إجراءات الإدراة الفرنسية الجائرة.[5]

وقد أحدث قانون 1863 ما يمكن اعتباره عمليات جراحية في بنية المجتمع الجزائري عموما وأعراش الحضنة خصوصا، فكك روابط العرش الواحد وجزأه إلى وحدات صغيرة وعمل قانون إنشاء الملكية الخاصة على إبعاد علاقات التضامن التي وجدت منذ قرون بين أفراد العرش الواحد.[6]

---

(1) بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 – 1889، ج1، دار المعرفة، الجزائر، د:ت، ص159

(2) بيرم كمال: الاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية بمنطقة الحضنة، ص79.

(3) بن داهة عدة: الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الإحتلال الفرنسي للجزائر 1830 – 1962، ج1 طبعة خاصة، ص366.

(4) بشير بلاح: المرجع نفسه، ص 159.

(5) نصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2013، ص 29.

(6) بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية، ص 259.

3-3. نمو حركة الاستيطان:

نشطت حركة الاستيطان الأوربي نشاطا واسعا ومكثفا بالجزائر ابتداء من عامي 1870 و1871م، واتجهت نية الإدارة الاستعمارية إلى غزو أرياف الجزائر الداخلية وتوطين العنصر الأوربي بها، وتقديم الأراضي مجانا بشرط الإقامة الجبرية[1]، إن عملية تشجيع سلطات الاحتلال الاستيطان هو الذي فتح شهية الأوربيين وحفزهم إلى المجيئ إلى الجزائر.[2]

كانت سنة 1870 محطة تاريخية في ظهور الحركة الاستيطانية لمناطق التل الجزائر واقليم الحضنة الغربية ومن بعدها السفوح والسهوب، وبدأت قصة جديدة للفلاح في أرض الحضنة حيث يحاصر بين الاستيطان من جهة وبين الزيادة البشرية. [3]

3-4. إبادة العنصر البشري:

إن الطريقة التي انتهجتها إدارة الاحتلال الفرنسي في إبادة الشعب الجزائري لم تر البشرية خلال القرن التاسع عشر مثلها إلا نادرا، وما ميز هذه الإبادة أنها لم تنحصر في إبادة العنصر البشري إنما جاءت شاملة لتمس عناصر أخرى، لا تقل أهمية منها العنصر الديني والثقافي والاجتماعي. [4]

عرف عدد السكان تراجعا خلال فترة الستينات في القرن 19 بسبب الحروب والمقاومات الشعبية ضد جيوش الاحتلال. [5]وهي مرحلة خطيرة في التقلص الكبير لعدد

---

[1] يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري، ص31.

[2] منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي، ص210.

[3] بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية، ص261.

[4] منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية: المرجع نفسه، ص119 .

[5] جهاد بن علي: الاستيطان الاوربي في الجزائر وأثره على الحياة الاجتماعية للجزائريين1830- 1870، مذكرة لنيل لنيل شهادة الماستر تخصص في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، تحت اشراف محمد يعيش، 2014/2013، ص50.

سكان ارياف الحضنة والتي تحولت بعدها الى شبه فراغ بشري بعد كل انتفاضة تشهدها المنطقة مثل انتفاضة بوخنتاش 1860وانتفاضة أولاد ماضي 1864 وانتفاضة المقراني 1871. [1]

لقد استمرت الابادة الجماعية للمجتمع الجزائري من طرف إدارة الاستعمار العسكري الفرنسي، كرد فعل للمقاومات الشعبية التي وقفت سدا منيعا في وجه الاحتلال وعرقلت توسعه على نطاق واسع، فكانت الابادة العشوائية التي أتت على الاخضر واليابس ولم تنجو منها لا الحيوانات ولا الاشجار، فكيف بالإنسان . [2]

[1] بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية، ص 283.

[2] منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي، ص96.

الفصل الثاني:

الواقع الصحي للحضنة خلال القرن 19

المبحث الأول: انتشار المجاعات والأوبئة في الحضنة خلال القرن التاسع عشر

1. أسباب المجاعات:

العوامل الطبيعية

العوامل الإقتصادية

2. إنعكاسات المجاعات والأوبئة على منطقة الحضنة

المبحث الثاني: طبيعة الأمراض التي عرفتها المنطقة

1. الواقع الصحي للمنطقة عشية الاحتلال

2. الكوليرا

3. التيفوس

المبحث الأول: انتشار الأوبئة والمجاعات في الحضنة خلال القرن 19.

يعتبر الوضع الصحي والمعيشي مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي، والذي عرف بدوره آفات اجتماعية كالمجاعات والأمراض والأوبئة وحتى الكوارث الطبيعية، وهذا ما انعكس سلبا على السكان، وهذا ما يطلعنا عليه أحمد بن العربي في مدوناته على الواقع الاجتماعي الذي عايشته منطقة الحضنة ومدى تأثرها به.

1.أسباب المجاعات:

1.1 العوامل الطبيعية:

تعرضت الجزائر خلال العهد الاستعماري إلى أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية مؤلمة نظرا لسياسة القسوة التي اتبعها الفرنسيون تجاه الجزائريين، ولتوالي النكبات والكوارث الطبيعية على البلاد[1]. وقعت عدة مجاعات وقحوط تركت آثارها السيئة، التي جعلت الأرضية خصبة لانتشار الأمراض المعدية ويبقى سكان كل بلد معرضين بصفة دورية للأوبئة وبالخصوص بعد القحط والحروب.[2]

وتتمثل هذه الكوارث في الجفاف والقحط اللذين أصابا آلاف الهكتارات من الأراضي الصالحة للزراعة متبوعة بالبرد الذي أتى على الأخضر واليابس[3]، حيث يذكر أحمد بن العربي في تقييداته عن أحداث الستينات من القرن التاسع عشر ميلادي عن منطقة أولاد دراج التي تقع ضمن إقليم الحضنة بقوله: "جذبت الأرض من جميع الخضورة وهلكت الخيل والدواب"[4]، وهو بذلك يؤكد حقيقة المجاعة الحاصلة في المنطقة ومدى تأثر السكان بما حدث في ذلك الزمن.

---

(1) يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، وزارة المجاهدين، ص147.

(2) صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص15.

(3) مريم بن الشيخ: الصحة في الجزائر1830 -1871 ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تاريخ حديث ومعاصر، تحت اشراف مصطفى عبيد، 2011- 2012، ص17.

(4) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

ويعد الجفاف واجتياح الجراد من أخطر الكوارث الطبيعية التي تهدد حياة الإنسان وذلك لما يترتب عنه من ندرة المواد الاستهلاكية[1]، وكان الجفاف كثيرا ما يتسبب في نكبات لا تحصى[2]، وكانت جحافل الجراد تزور المقاطعة كل خمس ست سنوات وكانت تحمل معها رياح السيروكو الحارة في أغلب الأحيان وكانت أعدادها هائلة[3] وبالتالي انتشار مجاعة شديدة أشرف الناس فيها على الهلاك .[4]

وكذلك من بين الأسباب التي أثرت على انتشار الوباء هي الحرارة الشديدة التي سادت خلال شهر جويلية وأوت، وصلت درجة الحرارة في كثير من الأحيان إلى43 درجة في الظل.

ويذكر أحمد بن العربي في ذلك "كثرت الموت عن أكل تلقودة[5]، فانتفخت الناس منها وماتت، وأما من أكل القطف والبرقوقة فهما أسهل من أكل تلقودة عما حكيتهم الناس، وكذلك العرعار"[6]، حيث أن الناس في ذلك الزمان أكل الحشائش من شدة هول الحال، وضائقة النفس فأكلوا الحشائش البرية (شبه سامة).

---

(1) مريم بن الشيخ: المرجع نفسه، ص17.

(2) أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1982، ص150.

(3) علامة صليحة: الوضع الصحي في الجزائر 1830- 1930، رسالة ماجستير، تحت اشراف نصر الدين سعيدوني، 2000 - 2001، ص33.

(4)عبد الحميد زوزو : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830- 1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د:ط،2007، ص104.

(5) هذه الخضر البرية كانت معروفة وشائعة الاستعمال هي الكمثرى البيضاء، الفول البري" الخرشوف" (تؤكل النباتات الطرية نية) والجذور شبه سامة تدعى: تلغودا البقوقا والكريوا. ينظر: (شارل روبير أجرون: المسلمون والجزائر1871-1919، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، د: ت، ص692).

(6) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

وقد حاول صالح العنتري أن يصف هول هذه الأزمة فقال: وفيها أشرف الناس على الهلاك الأليم، والبلاء العظيم، بحيث أنه لم يسمع في الزمان بمثلها، وقد حصل فيها لضعفاء عامة الخلق، بل ولكثير من خواصهم أيضا بادية وحاضرة من التشتيت والفناء، وأكل الحشيش ونحوه".[1]

وللتفصيل أكثر في أسباب التي أدت إلى المجاعات، يمكن أن نذكر كل مجاعة على حدى مراعين التسلسل الزمني مع التركيز أكثر على أهم مجاعة كان لها تأثير بليغ على الأهالي والتي أطلق عليها المؤرخين الكارثة الديمغرافية لسنوات 1867 – 1868 حيث كان لها نتائج وخيمة على السكان، كما شهدت منطقة الحضنة منذ النصف الثاني من القرن 19 حالات متكررة من الأمراض والأوبئة التي أصبحت من الوضعيات المألوفة لدى سكان المنطقة.[2]

أ. مجاعة 1838م (1254هـ):

عرفت باسم عام مطر التراب الأحمر[3]، بلغت الأزمة أوجها في سنة 1838إلى مستوى نفذت فيه الأقوات بشكل تام، وأصيبوا بقحط شديد[4]، وجاءت اشارات تؤكد على أن معظم المجتمع الريفي القسنطيني بما في ذلك الطبقة الدنيا والطبقة الوسطى قد مسها الجوع ولم تكن قادرة بتاتا على الشراء والاكتيال مع ارتفاع الأسعار إلى هذه القيمة، وبذلك أصيب المجتمع الريفي بالعجز والانفاق مما يؤكد حالة المجاعة.[5]

---

(1) صالح العنتري: المرجع السابق، ص17.

(2) بيرم كمال : من تاريخ الحواضر الشرق القسنطيني، ج1 ، ص332.

(3) مصطفى خياطي: الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر: حضرية يوسفي، منشورات ANEP، د: ط، د:ت، ص218.

(4) جمال الدين سعيدان : الأحوال المعيشية والصحية في الريف القسنطيني فيما بين (1830– 1919)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، ص73.

(5) جمال سعيدان: المرجع نفسه، ص73.

والسبب في رأي صالح العنتري يعود إلى ثلاث أمور:

1. حدوث جائحة في سنة 1838م أصابت الزروع وأتلفتها.
2. انقباض الفلاحين عن الحراثة، وعدم اهتمام السكان وانشغالهم بالفتن التي أصيبت البلاد.
3. كثرة الأمطار التي نزلت في هذه السنة. وقد نتج عن ذلك نتيجتان قاسيتان وهما:
   أ. ارتفاع أسعار الحبوب من قمح وشعير.
   ب.ضياع أملاك الناس وعقاراتهم.[1]

ب. مجاعة أو نكبة 1845- 1855م (1261 - 1266هـ):

بدأت اجتياحات الجراد الأولى منذ سنة 1845، وتشير التقرير 1845 إلى أن كافة قبائل المقاطعة قد شهدت في هذه السنة هجمات الجراد، لكن الجراد أثر على بداية السنة الفلاحية خاصة في عمليات الحرث.

وشهدت سنة 1846 اجتياحا آخر للجراد بشكل متصاعد في فترات نضج الحبوب، في كل من مناطق مجانة وقبائل التل الجنوبي والحضنة وفي القبائل الجنوبية وونوغة التي التهمت قمحها جراء الجراد، إلى أن الشعير لم يهلك رغم أن معدل الحصاد كان منخفضا أقل من 2.3 قنطارا / هكتار[2]، كما أن العنتري يربط المجاعة باجتياح الجراد في المقام الأول حيث يقول: " سببه أن الجراد قد نزل بـــ "الوطن" في المذكورة فأكل الزرع ولم ينجح من الأكل فيها إلا القليل وفيها حصل الضرر لبعض الفلاحين، واستمر أكل الجراد الزرع في السنتين اللتين بعدها أيضا.....".[3]

كما أن الجفاف قد عم كامل عمالة قسنطينة، وجزء من عمالة وهران سنة 1847 تضررت من خلاله معظم حقول القمح والمراعي الموجودة في العمالتين، وبالتالي هاجر

---

[1] صالح العنتري: المرجع السابق، ص 15- 16.

[2] جمال الدين سليمان: المرجع السابق، ص77.

[3] صالح العنتري : المرجع السابق، ص51.

العديد من الأعراش من أراضيهم[1]، حيث تشير التقارير الفرنسية الأولى إلى تدني كبير لمستوى معيشة السكان التي ارتبطت كثيرا بتقلبات المناخية الصعبة التي هي في الغالب هي الوضع السائد لمنطقة الحضنة.[2]

وفي قول أحمد بن العربي: "ما وقع في زماننا من القحط فقد هلكت الناس كثيرا ... من قبيلتنا يعني البراكتية"[3]، فهو يؤكد بقوله هلاك الكثير من أهل المنطقة جراء النكبة التي جرت في ذلك الزمان.

جـ. مجاعة 1866- 1868 م (1283 - 1285هـ):

شهدت الجزائر خلال هذه السنوات الثلاث أكبر مجاعة في تاريخها، مجاعة رهيبة "عام الشر" أو سنة المجاعة والبؤس[4]، وهو الاجتياح الذي كانت حصيلته الدمار الكامل لكل المزروعات بما فيها الفواكه والخضر التي يجد فيها المستقرون من السكان أثناء موسم الخريف موردا لعيشهم.[5]

حيث يذكر أحمد بن العربي: "وفي هذا الزمان ترى الدنيا بيضاء ليس فيها نبات ولا خصب ....، كأنما شعلت النار فيها وهي بيضاء..."[6]، وهو هنا يصف لنا المنطقة ببياضها الشديد وشبهها بالورق لعدم وجود النباتات والزرع، بسبب الجفاف وأهوال الرياح التي اتت على الأخضر واليابس في ذلك الزمان، حتى أن بعض المؤرخين جعل العاصفة

---

(1) مريم بن الشيخ: المرجع السابق، ص19.

(2) بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي (1830- 1954)، ص265.

(3) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

(4) مصطفى خياطي: الأوبئة والمجاعات في الجزائر، ص219.

(5) عبد الحميد زوز: المرجع السابق، ص113.

(6) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع نفسه.

والجوائح الطبيعية (الجفاف، الرياح، الجراد، الأوبئة والأمراض) تقف وراء كل فشل عسكري أوربي أمام الجزائر.[1]

وعلاوة على ذلك في عام 1865 هجرت فرنسا عددا كبيرا من الأوربيين إلى الجزائر وحملوا معهم أمراضا وأوبئة معدية أدت إلى وفاة عدد كبير من الأهالي الجزائريين وإلى جانب هذه الحرائق والأمراض والأوبئة المعدية كالكوليرا والتيفوس حدث قحط وجفاف فيما بين أعوام 1865- 1886 وزحفت على التل أمواج جراد من الجنوب، أتت على الأخضر واليابس، فحدثت مجاعة كبرى عامي 1867- 1868 مات خلالها أكثر من نصف مليون من الأهالي.[2]

وقد ذكر العنتري اسباب هذه الأزمة:

1. حدوث الجوائح التي نزلت بالزروع والنباتات وأتلفتها.
2. انتشار مرض "الرهمة" الذي أهلك المواشي سنة 1867، من قلت علفها وتبنها في فصل الشتاء.
3. زحف الجراد على القطر الجزائري سنة 1868، وما أحدثته من تلف بالزروع والأشجار والنباتات.[3]

وقد ذكر أحمد بن العربي بقوله: " وأهوال الرياح والجوع الذي صارت بسببه تموت الناس كالكسب والرجال الذين بذلوا أنفسهم في سبيل الله.[4]

لقد أجمعت جل المصادر التاريخية أن السبب الرئيسي في حدوث مجاعة 1867- 1868 تتمثل في اجتياح الجراد لجل المناطق الجزائرية، وذلك بداية من 1864 ليصل

---

[1] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1830- 1900،ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص 30.

[2] يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830- 1900، ديوان المطبوعات الجامعية، د:م، د:ت، ص23- 24.

[3] صالح العنتري: المرجع السابق، ص17.

[4] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

هذا الاجتياح إلى قمته مع بداية 1866 حتى أطلق على هذا العام عام الجراد، ولعل وصف جلالي صاري خير دليل على هذه الآفة بقوله: إن الجراد المهاجر يغطي كل سماء الجزائر، فأول هجوم له كان في الشتاء على جنوب مقاطعة الجزائر بين متليلي وغرداية وفي جانفي و فيفري في الحضنة وبالخصوص في بوسعادة ثم جنوب مقاطعة وهران".[1]

إلى جانب الجراد الذي تسبب في هذه المجاعة نجد عاملا آخر، وهو الجفاف والقحط فقلت من ثم المحصولات الزراعية والغذائية فمنذ عام 1865م والمطر يشح ولا ينزل وخاصة سنة1867الذي قلت فيه حتى مياه الشرب والسقي، وجفت الينابيع في الصيف واشتد البرد في الشتاء فتفشت المجاعة في البلاد حتى أصبح الناس يؤرخون بها ويقولون حدث ذلك "عام الشر"[2]، فقد ذكر أحمد بين العربي بقوله: " ...حتى مات كثيرا من الناس في هذا العام، لم يقع مطرا أي لم ينزل فيه مطر، وإنما كثرت أهوال الرياح وصفرة الجو...، حيث قاموا شيوخ المنطقة بحفر الآبار واستصلاحها وبناءها، للبحث عن الماء عقب الجفاف الحاصل والزلازل...."[3]، فطيلة العقد (1860- 1870) يجب ذكر جفافين، وقع الجفاف الأول في بداية السنة الفلاحية 1860- 1861 وحتى 1861- 1862 حسب بعض المحطات، ووقع الجفاف الثاني تقريبا في كل التراب الوطني في السنتين الفلاحيتين 1865-1866و1866- 1867.[4]

وبهذا فإن اجتياح الجراد لا يشرح لوحده بداية الكوارث، ولو أنه ساهم نوعا ما في تحضير الأرضية الخصبة لانتشار الأمراض المعدية إذ أنه غطى جميع تراب الوطن، وأصبح كارثيا في سنوات الجفاف الكبير.[5]

---

[1] الجيلالي صاري: الكارثة الديمغرافية، 1867 – 1868، ص 225.

[2] سعيدي مزيان: النشاط التنصيري للكردينال لافيجري في الجزائر 1867- 1892، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر،ط1، 2009، ص279.

[3] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

[4] الجيلالي صاري: المرجع السابق، ص203.

[5] الجيلالي صاري: المرجع نفسه، ص229.

1. 2.العوامل الاقتصادية:

تعزى أسباب هذه المجاعات بعد الأسباب الطبيعية إلى السياسية الاقتصادية القائمة على تخريب الاقتصاد الأهلي القائم على الأرض، حيث استهدفت السياسة الاستعمارية الاقتصاد الجزائري منذ البداية خاصة القطاع الزراعي.

وذلك من خلال اتلاف ما أمكنها من وثائق ملكية الأراضي وصكوك الأوقاف وعمدت إلى مصادرة الأراضي وتأميمها ونقل ملكيتها بواسطة جملة من الاصدارات والاجراءات أهمها:

- قرار كلوزيل الصادر في 7 ديسمبر 1830، المكمل لقرار 8 سبتمبر 1830، ونص على ضم كافة الأوقاف الاسلامية التي شملت (أوقاف مكة والمدينة، والمساجد والزوايا، وسبل الخيرات، وأوقاف الأندلس، والطرق، والمياه والانكشارية) إلى قطاع أملاك الدولة.[1]

- وفي سنة 1839 جاء القرار الخاص بمصادرة أراضي الذين ساندوا الأمير عبد القادر في ثورته.[2]

- ومراسيم 1844 التي ابتكرت أسلوب نزع الملكية لعدم زراعة الأرض، حاولت أيضا ادخال شيء من التنظيم على النظام العقاري[3]، وبالرغم من أن منطقة الحضنة إقليما سهبيا يصنف أحيانا ضمن هوامش الصحراء، إلا أن أراضيها تمتاز بخصوبة وتنوع، زادت في قيمتها المجاري المائية المنحدرة من السلاسل الجبلية الشمالية نحو الشط ، فبادرت السلطات الفرنسية سنة 1844 بمصادرتها خصوصا أراضي منطقة سباع الغربي حيث عوض أصحابها بأراضي رديئة في الجهة اليسرى لوادي القصب، كما حولت

---

[1] بشير بلاح: المرجع السابق، ص158.

[2] بشير بلاح: المرجع نفسه، ص158.

[3] شارل روبير أجرون: تاريخ الجزائر المعاصر، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، باريس، ص43

أراضي البايليك بمدينة المسيلة إلى أراضي دومين مع الأراضي المصادرة خلال ثورة المقراني.[1]

- وكذا قانون 16يونيو 1851، الذي نص على حق الدولة في حيازة أراضي العروش إذ اقتضت خدمة الصالح العام.

- القرار المشيخي الشهير Sénatus Consulté الصادر في 22 أفريل 1863، واستبدل حق استفادة القبائل الجزائرية من أراضي العروش بملكيتها، وفرض تقسيمها بعد ذلك على الدواوير وعلى الأفراد لتفتيتها، وتحويلها إلى ملكيات فردية[2]، كما وجدت بالحضنة أراضي البايليك التي كانت للسلطة العثمانية بمنطقة أولاد دراج والمسيلة والتي تحولت إلى أراضي دومين تابعة للاحتلال الفرنسي، كما تقدر الأراضي التي تحولت إلى سلطة الاحتلال بالحضنة الغربية ب 163000 هكتار منها 87000 هكتار تقع ضمن نطاق الرمل (أي جنوب الإقليم) و 37000 هكتار ضمن أراضي عرش أولاد سيدي إبراهيم و 12900 هكتار بدوار أولاد سيدي هجرس و تمتد في العموم الأراضي التابعة للبلدية و التابعة للدولة على نطاق أراضي الرمل و الجر و الحمادات.[3]

كما تقدر الأراضي الغابية في الحضنة الغربية ب 15200 هكتار تشكل مساحات الحلفاء الجزء الأكبر منها خاصة في إقليم أولاد سيدي هجرس، و الملفت للانتباه ان قانون المجلس المشيخي 1863 الذي كان يهدف إلى تجزئة الملكيات الجماعية للأهالي الجزائريين لم يتحقق بشكل كبير في الحضنة الغربية ،بحيث وباستثناء الأراضي الجبلية لأقاليم ونوغة و المعاضيد لم تتعدى الملكية الخاصة مساحة 30000 هكتار موزعة بين دواري المسيلة و تار مونت و لقمان، بينما لا نجد سوى بعض المئات من الهكتارات ذات

---

[1] بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية، ص301.

[2] بشير بلاح: المرجع السابق، ص159.

[3] بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية، ص 302.

الملكيات الخاصة بمنطقة أولاد سيدي هجرس و أولاد سيدي إبراهيم و هي تشكل نسبة 02 في المائة من مجموع الأراضي التي تقدر ب 80000 هكتار.[1]

ذلك أن آفة الجراد التي ساهمت في إحداث مجاعة سنة 1867 وفي تدهور المحصول، عادت للهجوم بأعداد متزايدة، وفي تقرير الحاكم العام إلى رئيس المجلس" إن الوضعية الحالية في الشرق القسنطيني صعبة للغاية، ومن الممكن أن تتحول في بضعة أشهر إلى حالة يرثى لها، بحيث تراجعت الغلل ونضبت مدخرات الحبوب فسوف يسقط أهالي العديد من القبائل في مجاعة من أبشع ما يمكن تصوره ...".[2]

لقد استهدفت السلطات الفرنسية الأراضي باعتبار أن الأرض كانت عماد الاقتصاد الجزائري، وأساس تطوره فقد أدت هذه السياسة إلى بؤس وإفقار الاهالي، بمصادرة أخصب وأجود الأراضي وترك سوى أسوء أنواع الأراضي.

وبذلك انتقلت مساحات هائلة من الأراضي إلى السلطات الاستعمارية والكولون بلغت قرابة 6 ملايين هكتار سنة 1866، منها 508000 هكتار من الأراضي الزراعية للكولون، وتحول الجزائري من سيد في أرضه إلى خماس[3] في حقوله.[4]

وكانوا في بعض السنوات يدفعون غرامات تفوق بثلاث مرات المداخيل، وكانت الضرائب التي يتعرضون لها على المحاصيل والمواشي باهظة فكانت أي أزمة ولو كانت بسيطة تحدث القحط وحتى المجاعة وكان السكان يلتجئون في كثير من الأحيان إلى أكل عسقول النباتات البرية والعروق، وإن نقص الانتاج يعبر عن نقص المساحات المحروثة

---

[1] بيرم كمال : المرجع السابق، ص 302.

[2] شارل روبير أجرون : الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871- 1919، ص695.

[3] خماسون هم مزارعون يتقاضون خمس المحصول أجرا لهم ينظر: (شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ص41).

[4] بشير بلاح: المرجع السابق، ص 159.

وضعف التقنيات مما زاد من سوء الوضعية الاجتماعية لحياة الفلاحين[1]، فارتفع سعر حبوب الزرع حينئذ، وعز ظهورها فبلغ سعر الصاع الواحد من البر إلى ستين وسبعين فرنك وصاع الشعير من الخمسة دورية إلى الثلاثين فرنك.[2]

2.انعكاسات المجاعة في اقليم الحضنة:

لقد كان للكوارث والآفات الطبيعية التي أضرت بالجزائر، انعكاسات سلبية على الناحية الصحية والمعيشية للشعب وقد هلك من المجتمع الجزائري عامة والحضني خاصة ما هلك في المجاعات والأوبئة، وراح جراء القوانين الجائرة ملايين من السكان، والضحايا هم سكان الأرياف الذين أهلكتهم المجاعات وأعمال التخريب والمعارك الطاحنة والتشريد، وحتى سكان المدن الذين أخرجوا من ديارهم وأصبحوا يعيشون في المنفى، فإن التحولات التي شهدتها المنطقة بعد انتصاب الإدارة الاستعمارية وقدوم المعمرين قد أثرت بدورها على نسق الانسجام ومن أبرز هذه الانعكاسات نذكر:

1.2. حركة نمو السكان:

أدت مختلف الثورات إلى إحداث تحولات عميقة في واقع السكان الاقتصادي والاجتماعي، كما أن انتقام فرنسا من سكان المنطقة أدى إلى تداعيات خطيرة مست العلاقات الاجتماعية لسكان الحضنة، وأفرزت واقع جديد أدى إلى إحداث خلل في استقرار توزع السكان.

لقد أعطت التقديرات الفرنسية حول عدد سكان الحضنة بداية الاحتلال ما بين 3000 و 25000 نسمة وهي تقديرات لم تدرج فيها أعداد بعض القبائل التي لم تحصيها السلطة العسكرية، لا تبدو الأرقام المقدمة في التقارير الفرنسية في كثير من الفترات صحيحة بل ناقصة ومختلفة لأن عملية النمو قد مرت بفترات معلميه خصوصا سنوات الجفاف 1867

---

[1] محفوظ قداش: جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830 - 1954، تر: محمد المعراجي، وزارة المجاهدين ، الجزائر، 2008، ص228.

[2] صالح العنتري: المرجع السابق، ص 51.

م والثورات مثل 1871 ، 1864، 1860م[1]حيث أصبح الناس يقتاتون من الجذور والأعشاب وبلغ بهم الأمر أن أصبحوا يتنازعون على المزابل والفضلات[2]، وهذا الأمر قد ذكره أحمد بن العربي في تقييداته حيث يؤكد التقاط الناس الأكل من الرتب والزبابيل من شدة الجوع وهول الحال.

ولشدة هول الأزمة وصفها العنتري "المجاعة السوداء" وفيها صار جل المتضررين يقدمون على اقتيات ما تعافه النفس البشرية، ويحرمه الشرع كأكل القطط والدم والميتة وغير ذلك من المحرمات المستقذرة[3]، فقد ذكر أحمد بن العربي فقال: " أن الناس من شدة هول الحال أصبحوا يشربون دم الحيوانات ويأكلون الميتة، وكانوا يضعون أبنائهم في الخنادق ويضعوا عليهم الحجارة لكي لا يسمعونهم، من شدة الجوع...."[4]، فيبست الحشائش وماتت المواشي، وعم غلاء المواد الغذائية، حيث أن سعر القمح بلغ أكثر من مائة فرنك للصاع الواحد وسعر الشعير بلغ خمسة وأربعين فرنكا للصاع في حين كان يباع عند الحرث بسعر ستة وعشرين فرنكا للقنطار في السوق وهذا لم يحدث من قبل ونتج عن تصاعد المجاعة موت الناس بالجملة، وأكل الكثير منهم جذور الحشائش وأوراق الأشجار، والحيات، والكلاب[5] ، بل إن بعض منهم نبشوا القبور وأكلوا جثث الموتى وادعى أحد الكتاب أنهم أكلوا حتى الأحياء من البشر.[6]

ويذكر أحمد بن العربي على هول الأحوال وما جرى أثناء هذا الزمان بقوله: "...جاهد الخلق الشيء وسلط الله تعالى عدم الشبع على الخلق وغلت أسعار الحبوب حتى أن صاع الفرنسيين إذا كان بيع حاضر بخمسة وعشرين أو ثلاثة وعشرين وإن كان أجل

---

(1) سامية ديفل: المرجع السابق، ص23.

(2) خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 – 1871، د: ط، د: ت، ص107.

(3) صالح العنتري: المرجع السابق، ص17.

(4) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

(5) يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، ص150.

(6) يحي بوعزيز: المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من 19 ومواقف وآراء الجزائريين من ادعاءات الفرنسيين حول أسببها، مجلة الأصالة، ع33، سنة 1976، ص10.

باثنان وثلاثين ريال أو أكثر وصاع القمح حاضر بأربعين ريال .... وعند أول القحط باعت الخلق الأثاث ورخس المال وحتى البعير قيمتها أقل من صاع الشعير ...ورخصة أيضا الفضة وأما الغنم فماتت كثيرها.."."[1]

فما كان للخلق إلى التل سبيل للعيش ولسد جوعه لتحفر التلقودة وتأكلها حيث تفرقت في المواطن، وحفرت البقوقة وأكلوا القطف والعرعار وكل ما كان يصوغ لهم وكثرة الموت في التل من أكل التقلودة في كل البلاد، وأخذ الناس الصدقة من النصارى في بعض المواضع بالخبز والشعير، حيث مات الخلق الكثير، ففي بعض الفرق (الأعراش) يموتون منها النصف والبعض الثلث وفي البعض أكثر وفي بعض المواضع تموت الفرقة كلها... أصبح الناس موتى في الشعاب والأودية والبيوت ...."."[2]

وهكذا أصبح السكان غير قادرين على محاربة الأوضاع القاسية، فاضطروا إلى بيع ما لديهم من أثاث وغيرها حيث يذكر جلالي صاري أنهم باعوا حتى ألبستهم وخيامهم في ذلك الزمان.[3]

وحتى أنه لم ينزل المطر، وكثرت أهوال الرياح وصفرة الجو في سنة 1866م ونزول الوباء والزلازل مما زاد الحالة الصحية سوءا في المنطقة، حيث يذكر أحمد بن العربي أن شيوخ المنطقة قاموا بحفر الآبار واستصلاحها من أجل البحث عن الماء " حفرت أنابيب في القلالي عمقه 53 ذراعا ولم نبلغ الماء إلى قليلا"[4] ، حيث انه تم القيام القيام بأشغال الحفر الأخيرة ببئر براقوب حيث في الأيام الأولى من شهر جوان سنة 1867 تدفقت مياه جوفية بسعة 430 لتر تم العثور عليها على عمق 79 متر ، ومن الملاحظ في القرن 19 يعتبرون الازمات الطبيعية كعامل موازن لعدد السكان في القرون

---

[1] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

[2] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع نفسه.

[3] جيلالي صاري: الكارثة الديمغرافية في الجزائر 1867- 1868 ، مجلة الثقافة، عدد 76، 1983، ص118.

[4] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع نفسه.

السابقة للاستعمار، وكان للأوبئة والمجاعات السبب الرئيسي في التراجع الديمغرافي المسجل في إحصائيات 1866 و1872.[1]

2.2. الهجرة:

تعرضت منطقة الحضنة ككل إلى عمليات قمع وقهر وتهجير كسائر مناطق الجزائر حيث كانت هجرة السكان نحو الخارج صعبة بداية الاحتلال إذ منعت السلطات الفرنسية الهجرة، كما أن عملية مصادرة الأراضي والأملاك التي مست السكان والفرق التي وقفت جانب المقراني أدت إلى عملية تهجير جماعي للسكان، حيث ذكر أحمد بن العربي: " ارتحل ابراهيم بن عبد الله إذ كان هذا الأخير قايد السوامع ولحق به بإخوانه، وارتحلوا إلى ولاد عامر إلى الغرب...".[2]

حيث هاجر عدد كبير من السكان وتركوا أوطانهم متجهين إلى مناطق شرق ووسط البلاد بحيث هاجر سكان عرش أولاد دراج نحو مدن الشرق الجزائري[3]، ونتيجة لمظاهر البؤس والحرمان والأوبئة والمجاعات التي شهدتها منطقة الحضنة وبعد احتكاك المجندين تحولت اتجاهات الهجرة نحو فرنسا وهي نتاج عاملين هامين هما:

- عامل الاتصال بين الأهالي في فرنسا على إثر التجنيد الذي حصل خلال الحرب العالمية الأولى.
- تدهور المعيشة الذي حصل جراء التحول الاقتصادي والاجتماعي منذ الاحتلال الفرنسي للمنطقة.[4]

---

[1] كمال كاتب: أهالي ويهود بالجزائر 1830 – 1962 تمثيل وحقائق السكان، دار المعرفة، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، د ط، د: ت، ص 92.

[2] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

[3] سامية ديفل: المرجع السابق، ص23.

[4] سهام سعد الدين: المرجع السابق، ص19.

المبحث الثاني: طبيعة ونوعية الأمراض المنتشرة في الحضنة

1. الواقع الصحي لمنطقة الحضنة عشية الاحتلال

كان إهمال النظافة العامة في الجزائر بمثابة كارثة مع بداية الاستعمار ونتج عن ذلك العديد من الأوبئة والأمراض، وقد أعطت المراسلات المحلية للجزائر لمحة على تلك الحالة " تدهور الحالة الصحية راجع إلى إهمال وسائل التطهير، فحتى الماء لم يكن متوفر"[1]، كما يذكر بول أودال في رحلته من الجزائر إلى بوسعادة الحالة الصحية للوسط الذي يعيش فيه المسلم ولاحظ أن هناك عدم التزام بين ما يقتضيه الدين الإسلامي من نظافة وطهارة ونقاوة المحيط وبين واقع المسلم، فهو يصف أحد البيوت بما يلي: " تشارك الحيوانات العائلة باحتلالها موقعا مكملا في البيت، فيتكوم الزبل إلى درجة تصير فيها رائحته مألوفة ... حيث رأينا البهائم تشارك الإنسان السكن، وكذلك الكلاب التي هي بمثابة حرس تحتل حيز في السكن "، غير أن الرحالة لم يبين لنا الأسباب التي دفعت هؤلاء الناس إلى هذا المستوى من الحياة، هل هو طبع متأصل فيهم؟ أم هو بفعل سياسة التفقير والتجهيل التي اتبعها المستعمر؟.[2]

وهنا يمكن القول أن الاحتلال الفرنسي للجزائر خلال القرن التاسع عشر كان له تأثير سلبي على الوضع الصحي والوبائي للسكان الجزائريين[3]، والملاحظة الأولى التي يمكن

استخلاصها هي أن هذه النكبات لم تكن خاصة بالجزائر في الواقع أن دورة:

حرب ← نقص في المؤونة ← قحط ← ضعف الوسائل ← ظهور الأوبئة،

---

[1] مصطفى خياطي: الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، ص35.

[2] خميسي سعدي: المجتمع و العمران بمدينة المسيلة في القرن 19م من خلال رحلة بول ادال(Paul Eudel)، ص 3- 4.

[3] مصطفى خياطي: الأوبئة والمجاعات بالجزائر، ص11.

كان أمرا عاديا في فرنسا[1]، ويبقى سكان كل بلد معرضين بصفة دورية للأوبئة وبالخصوص بعد القحط والحرب التي تجعل الأرض خصبة لانتشار الأمراض المعدية.[2]

حيث أن القرن 19 كان قرن كوليرا[3]، وقد ظهر عشر مرات في السنوات التالية: 1834، 1835، 1837، 1849، 1850، 1851، 1859، 1860، 1865، 1866.[4]

2. أوبئة الكوليرا:

قبل التطرق لظروف انتشار هذا الوباء لابد من معرفة أعراضه:

يتولد الداء من ضمة الكوليرا Vibrio chokrae وهي جرثومة تغزو أمعاء المريض وتسبب الإسهال الشديد والقيء، مما يؤدي إلى الجفاف وظهور صدمة والإنسان هو المستودع الوحيد لضمة الكوليرا وضحيتها الوحيدة، وتخرج الجرثومة مع البراز والقيء بينما ينتقل المرض عن طريق الأيدي ولكن أيضا بشكل غير مباشر عن طريق المحيط الخارجي لا سيما المياه، والفواكه والذباب.[5]

وقد انتقل هذا الوباء للجزائر عن طريق سفينة معدية آتية من جزر البليار[6]، وفي 26 سبتمبر 1834، بالمرسى الكبير ظهرت الكوليرا لأول مرة على الأرض الجزائرية حيث إنتقلت العدوى عبر البر والبحر، وقد انتشرت من الجنوب الشرقي للبلاد: باتنة، بوسعادة، بسكرة والزعاطشة.[7]

---

(1) كمال كاتب: أهالي ويهود بالجزائر 1830 – 62 تمثيل وحقائق السكان، ص 94.

(2) جيلالي صاري: المرجع السابق، ص191.

(3) كمال كاتب: المرج نفسه، ص94.

(4) جيلالي صاري: المرجع نفسه، ص191.

(5) مصطفى خياطي: الأوبئة والمجاعات بالجزائر، ص156.

(6) فلة قشاعي: الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي (1518- 1871)، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2003/ 2004، ص126.

(7) مصطفى خياطي: الطب والأطباء في دولة الأمير عبد القادر، تر: نبيلة حنك، منشورات ANEP ، 2013، ص49- 51.

وكانت أضرار هذا المرض في البداية خفيفة لكن سرعان ما انتشر بسرعة في أنحاء عديدة من الجزائر مخلفا نتائج جد وخيمة في فئة الأهالي الجزائريين[1]، ونلاحظ أن جل الاجتياحات وقعت بداية من الشواطئ بعد نزول الأشخاص (الجنود على العموم) المصابين القادمين من الموانئ الفرنسية، فالمستشفيات والثكنات والسجون هي التي تكون مصدر إنتشار الوباء.[2]

حيث ظهر مرض الكوليرا سنة 1866 بشكل محدود واشتد خطره عام 1867 في البلاد بواسطة المسافرين الذين قدموا من الخارج عن طريق الموانئ وعانى منه الجزائريون لانعدام وسائل الوقاية الصحية لديهم وسوء حالتهم الاقتصادية والمعيشية، وعدم اهتمام السلطات الفرنسية بمقاومته إلا في أوساط الأوربيون الذين حالتهم الاقتصادية حسنة والوقاية الصحية متوفرة لديهم.[3]

أما منطقة الحضنة فلم تكن في معزل عن هذا الوباء، حيث شهدت المنطقة منذ النصف الثاني من القرن 19 حالات متكررة من الأمراض والأوبئة التي أصبحت من الوضعيات المألوفة لدى سكان المنطقة[4]، لكن أخطر اجتياح لهذا الوباء للمنطقة كان سنة 1865 حيث يذكر أحمد بن العربي: " وبعد هذا فإننا نذكر إنشاء الله أحكام الإله كي يقف عليه من أتى خلفنا ويتضح له كل ما يراه فأقول وعلى الله التوكل أن في سنة 1282 – 1284هـ في شهر ربيع الأول نزل الوباء المسمى عندنا بوشحيط في المسيلة فمات بسببه نحو الاربعة مائة نفس ... وفي ربيع الثاني وصل هذا الوباء إلينا فمات منا أي فرقة البراكتية خمسة وثلاثون نفس ...".[5]

---

[1] مريم بن الشيخ: المرجع السابق، ص33.

[2] جيلالي صاري: المرجع السابق، ص191.

[3] يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، 148 – 149.

[4] بيرم كمال: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني، ج2، دار الأوطان، الجزائر، 2016، ص77.

[5] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

ويعرض الطبيب شارل ايميل طبيب عسكري الوضع الصحي للمنطقة من خلال تقارير صحية ان الطبيب الملحق بمسيلة السيد موس رصد الكوليرا في المسيلة يوم الأحد 7 جويلية 1867 في قبيلة السوامع ، وهي الفرع من السكان الذي يعيش يمين الوادي (السوامع)، حيث ضربت بين 7 جويلية إلى 14 جويلية 1867 ، وكانت نتيجتها 72 ميتا و 4 أوربيين . وفي ظرف 15 يوما حصدت حوالي 144 ميتا أهليا ، و 3 للأوربيين[1]، وفي 11 جويلية 1867ظهرت الكوليرا (آسيوية) مختلطة مع الحمى في أولاد عمور

(من قبائل الحضنة) هذا الوباء قتل في (19، 20، 21) 85 شخصا[2]، إن حصيلة وباء الكوليرا تكون كالتالي في صائفة 1867: 134 في بوسعادة و249 في المسيلة.[3]

ويذكر أحمد بن العربي أن الوباء انتقل إلى منطقة الزاب: " وأن في ناحية الزاب في بعض النواحي منه وقع فيه بعض الوباء في شهر جمادي الثاني"[4]،كما انتقل إلى بسكرة وخلف خسائر بشرية ذكرها أحمد ابن العربي :" وحكي أن بسكرة في هذا العام مات منها ثلاث آلاف نفس هي وما حولها"[5] ، انتشر إلى بسكرة يوم 14 جويلية 1867.[6]

ولقد مرت بسكرة طيلة صائفة 1867 بواحدة من ابشع الفترات في تاريخها، منذ نهاية جويلية سجل ما يقارب من مائة وفاة في اليوم مع حد أقصى يصل الى 120

---

(1) خليل كمال: ملاحظات طبية عن الجزائر أثناء القرن 19، ل شارل إيميل ألكس، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف،

(2) L. Abid, les épidémies de choléra en Algérie au cours du 19 éme Siécle, 4 decenbae, 2016, p 04.

(3) جيلالي صاري: المرجع السابق، ص 126.

(4) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

(5) الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع نفسه.

(6) خليل كمال: ملاحظات طبية عن الجزائر أثناء القرن 19. أغلب التقارير الفرنسية تذكر أن وباء الكوليرا انتقل من الجنوب إلى الشمال ، وأن الوباء الذي اصاب الجزائر ككل انما بدأ من مدينة المسيلة سنة 1867 ، ونفس الاسباب تؤدي إلى نفس النتائج ، القرى الأكثر تعرضا للوباء هم الأكثر فقر وحرمان والأقل نظافة والأكثر تجمع واحتكاك. ينظر: (بيرم كمال: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني ، ج2،دار الأوطان، الجزائر ،2016،ص79).

شخص، إنها كوارث معممة وصل الامر فيها الى إخلاء المدينة بصفة مستعجلة[1]، ويرجع شارل ايميل سبب هذا الوباء الى الجفاف وكذا الى سوق المسيلة الموجود عند ضاحية الوادي حيث يصفه بانه سوق متسخ وغير منظم وهذا السوق يقصده سكان الحضنة وحتى رجال الصحراء من البدو، وهذه نقطة الوباء التي تتجه نحو الجنوب والشمال، ومصلحته لا تملك المعطيات على باقي النقاط، وهذا ما يربط وباء المسيلة وبسكرة الواقعة جنوبها[2]، لكن ساهمت عناصر طبيعية اخرى في سرعة انتقال الوباء كالجفاف والحرارة خاصة ايام هبوب رياح السيروكو (الشهيلي) [3].

إن انتشار الوباء منذ ظهوره في المسيلة يوضح تقصير الادارة في محاولة احتواءه باستعمال الطرق العلمية كالعزل(الكرونتينة) بحجة حركة السكان البدو داخل المناطق العسكرية، وهو تبرير لا يجانب الحقيقة لان المنطقة تقع تحت السلطة العسكرية ومن اليسير تطبيق هذه الاجراءات[4].

إن الحالة الاقتصادية والاجتماعية بمعنى الجفاف والجوع والبؤس تمارس دائما تأثيرها في ظهور وانتشار الكوليرا ، ومما سبق ذكره فإن البلاد تشكل بنية استقبال ممتازة أمام هذا الوباء.

3. التيفوس:

التيفوس هو أحد الامراض المعدية التي ابتليت بها الجزائر في شكل وباء مستوطن طيلة قرون، وتحفظ الذاكرة الشعبية عدة اسماء للتيفوس: مرض الحرب وتيفوس

---

(1) جيلالي صاري: المرجع السابق ، ص 128.

(2) خليل كمال: ملاحظات طبية عن الجزائر أثناء القرن 19.ويذكر ايضا أن الطبيب اتبع المنهج العلمي في نقل الاحداث ولم يكلف نفسه الاقتراب من الحقيقة وذلك لأن الوضع المتردي في الجزائر سببه الاستعمار والاهمال الذي يعيشه الشعب الجزائري.

(3) بيرم كمال: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني،ج2، ص78.

(4) خليل كمال: ملاحظات طبية عن الجزائر أثناء القرن 19، ص 03.

المجاعات وتيفوس السجون أو تيفوس المتشردين[1]،كما يذكر الدكتور رموان اميدي :(بأن التيفوس هو مرض التدهور المعيشي بامتياز، ويمثل المرض الذي يجتاح الجوعى والبؤساء والضعفاء بالنظر الى الجوع وانخفاض المستوى المعيشي الرهيب الذي تشهده الفئات العريضة خاصة في فترات المجاعة التي شهدها المجتمع الريفي) [2].

ومع انتشار الكوليرا فشا أيضا مرض التيفوس، فأخذ الجزائريون يموتون بالجملة في القرى والطرقات العامة حتى أرغمت السلطات الفرنسية السكان على حفر خنادق عميقة لدفن الموتى[3]. ويذكر ذلك Maurin:(لم يعرف الريف القسنطيني في أي وقت مضى اجتياحا أعنف ومخيف للتيفوس أكثر من هذه المرحلة 1867- 1869) حيث اجتياح الوباء بشكل معدي عموم المقاطعة وأدى الى وفيات كثيرة ابتداء من شتاء 1867- 1868، وازدادت موجته منذ أفريل 1868 عن الفترات السابقة حيث ماتت أعداد كثيرة من الأهالي في الأرياف والمدن بشكل كارثي[4]

نظرة السكان إلى الأمراض حسب تقييدات بن العربي:

إن تصور السكان للأمراض كان يتميز بالاستسلام للقدر وقبول ما تسلط عليهم من الأوبئة باعتبارها تعبيرا عن غضب الله لعباده، وبالتالي تصور السكان أي مرض كعقاب من الله تعالى، ولعل تمسك السكان بالقدر و"المكتوب" وتفسيرهم لكل المصائب التي تسلط عليهم بإرادة الله سواء كانت أوبئة، زلازل، حرائق، فيضانات، زحف جراد وغير ذلك [5] وهذا ما نجده في وصف بن العربي للمجاعة التي حلت بهم :" ومسخ الله تعالى الخلق بالجوع ... وعصت الناس ربها ولم تحمد نعمه التي أعطاها إياها... وابتدعت البدائع

---

[1] مصطفى خياط: الأوبئة والمجاعات في الجزائر، ص 107.

[2] جمال الدين سعيدان: المرجع السابق، ص116.

[3] يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، ص 149.

[4] جمال الدين سعيدان: المرجع نفسه، ص 26-27.

[5] فلة قشاعي: الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي (1518- 1871)، ص 287.

وخانت الفرائض والودايع حتى ظهر هذا المسخ الذي ليس شيء أعظم منه في زمان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم" [1]

وما تجدر الإشارة إليه هو قبول المرض بكونه إرادة إلهية إلى درجة عدم التحلي بالحذر والوقاية من العدوى، ففي هذا السياق كانت النساء تصبن بأمراض معدية، بمجرد احتكاكهن بالجثث وبكائهن عليها، مما يدل على مدى استسلام الناس للقدر والتخلي عن أبسط طرق الوقاية لتفادي انتقال العدوى لأنهم كانوا يعتقدون أن الأوبئة تتردد على الناس ،ثم تزول، وفقا لإرادة الخالق دون أن يتمكن المخلوق من تغيير ما يحل به أو يتعرض له[2]

كما نجد بن العربي يربط الوباء الذي نزل بهم سنة 1867 بأمور غريبة فيقول" وفي هذا العام كثر الريح والغبار ...ويحمر الجو وتظهر في الليل النيران مثل التلاحيف وتظهر النار في البيوت حتى أن الانسان أن أوقدت فيه وكثرت فيه الخيالات حتى أن بعض حكو أنهم سمعوا الطبول وحس الركب الأجراس وحكي أيضا أن ثلاثة عشرة رجلا كانوا جلوسا على التل في مزارة عند أولاد خلوف أو من قربهم فصعد له الغبار فقال رجل منهم أني سمعت حسا في هذا الغبار فقوموا لتخرجوا من أمام هذا الغبار ... فلما غم الغبار الجالسين في المزارة فاضربو كلهم وماتو لا الرجل الأول وآخر أيضا هرب حيث قربت إليهم الغبار والذي يمكث البعض معهم نصف يوم فقط والبعض يوم وليلة والبعض ثلاثة أيام والربعة والخمسة والبعض يموت في ساعته"[3]، وبالتالي ومما سبق يتضح لنا أن كل ما يصيب الفرد أو المجتمع الجزائري، كان يعلل بأسباب ميتافيزيقية دون محاولة ايجاد أسباب علمية وعقلانية .[4] .

---

[1] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع السابق.

[2] فلة قشاعي: المرجع السابق، 287.

[3] الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك: المرجع نفسه.

[4] فلة قشاعي: المرجع السابق،289.

خـــاتـمـة

من خلال دراستنا للأوضاع الاجتماعية لمنطقة الحضنة خلال القرن التاسع عشر يمكن تقديم الاستنتاجات التالية:

- تميزت منطقة الحضنة بموقعها الاستراتيجي الذي جعلها محطا للأنظار.

- عرفت التركيبة الاجتماعية لمنطقة الحضنة أصولا مختلفة المتمثلة في طابعها القبلي، حيث عرفت تغيرا في البنية الاجتماعية بعد القرار المشيخي 1863، الذي نتج عنه تفتت القبيلة وبروز الدوار، وانهيار الفئة الأرستقراطية والوجهاء وأثر هذا على الوضع في الجزائر ككل وإقليم الحضنة على وجه الخصوص.

- تعددت فئات المجتمع الحضني، فبالإضافة إلى العنصر المحلي هناك فئة الأجانب من الفرنسيين اليهود المالطيين، الإيطاليين، الإسبانيين والذين امتازوا عن غيرهم من المحليين.

- إن السياسة الاستعمارية قد حولت المجتمع الحضني من ملاكين إلى فئات كادحة، والتي برزت بشكل واضح سنة 1886.

- لقد توالت المجاعات الكارثية على المجتمع الحضني والتي بلغت أوجها في فترة الحكم العسكري بمجاعة 1867، حيث استغل الأوربيين هذه الفترة في تنمية ثروتهم على حساب إفقار الفئات الأخرى.

- لا يمكن تفسير المجاعات التي شهدتها المنطقة على أنها نتيجة كوارث طبيعية فحسب، بل ناتجة عن سياسة الاحتلال الفرنسي التي أدت إلى فقدان أراضي هائلة للأهالي ومصادرتها بموجب قوانين جائرة في حق الجزائريين.

- وبهذا فإن السلطة الفرنسية قد عمقت آثار الكوارث الطبيعية على المجتمع الحضني.

- كانت لحالة البؤس وسوء التغذية والحرمان وإهمال قواعد النظافة في منطقة الحضنة دور كبير في تفشي الامراض والأوبئة وزاد من حدة انتشارها.

- إن الوضع الصحي في المجتمع الحضني منذ بداية الاحتلال قد مثل وضعا كارثيا: إذ تفشت الأمراض بجميع أصنافها بوتيرة عالية وبشكل وبائي على رأسها الكوليرا والتيفوس بالإضافة إلى الأشكال الوبائية الأخرى وأكد كل هذا على كارثية الوضع الصحي في الفترة 1830- 1919.

بيبليوغرافيا البحث:

1. المؤلفات باللغة العربية:

1. ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، د:ط، 1992.
2. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان والبقي بروسفال ، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983
3. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1830- 1900،ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992. ، ط3 ، 1982.
4. أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر بن أبي القاسم الرعيني: كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، 1286هـ.
5. أبي الفداء: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830.
6. أبي دينار محمد
7. أبي عبد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د:ط، د:ت.
8. أحمد الابراهيمي طالب: أثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997.
9. أحمد الابراهيمي طالب: آثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج4، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، ط1، 1997.
10. أحمد بن أبي يعقوب: البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
11. أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري، د: ط، د: ت.
12. أحمدالقلقشندي: صبح الأعشي، ج5، دار الكتب الخلدونية، القاهرة، د:ط، 1915.
13. الأرشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك – وثائق لم تنشر – تقييدات أحمد ابن العربي عن أحداث الستينات من القرن 19.
14. أنيسة بركات: محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين .

15. بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر من 1830- 1889، ج1، دار المعرفة، الجزائر، د:ت.
16. بقطاش خديجة: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 -1871، د: ط، د: ت.
17. بن داهة عدة: الإستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الإحتلال الفرنسي للجزائر 1830 – 1962، ج1 طبعة خاصة.
18. بيرم كمال: الإحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية بمنطقة الحضنة، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2013.
19. بيرم كمال: مدخل إلى مدينة المسيلة من الاحتلال الروماني إلى العهد العثماني ، دار الاوطان، الجزائر، 2012.
20. بيرم كمال: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني، ج1، دار الأوطان، ط1، 2015.
21. بيرم كمال: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني، ج2، دار الأوطان، الجزائر، 2016.
22. الجيلالي صاري: الكارثة الديمغرافية 1867- 1868، تر: عمر المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات ANEP، الجزائر، 2008.
23. حسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف افريقيا، ج1، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1989.
24. حسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف افريقيا، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1983.
25. حسن مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط2، 1997.
26. الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، طبعة خاصة.
27. شارل روبير أجرون: المسلمون والجزائر1871 - 1919، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، د:ت.

28. شارل روبير أجرون: تاريخ الجزائر المعاصر، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، باريس.
29. صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.
30. عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830 - 1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د:ط،2007.
31. عبد الرحمان ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، دار الفكر، 2000.
32. كاتب كمال: أهالي ويهود بالجزائر 1830- 1962 تمثيل وحقائق السكان، دار المعرفة، نسخة خاصة وزارة المجاهدين، د ط، د: ت.
33. كربخال مارمول: افريقيا، ج2، تر: أحمد التوفيق وأخرون، دار المعرفة، الرباط، د:ط، 1988.
34. محفوظ قداش: جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830 - 1954، تر: محمد المعراجي، وزارة المجاهدين ، الجزائر، 2008.
35. محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم دار الحكمة، الجزائر، د:ط، 2003 .
36. محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج1 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
37. محمد المالكي: رياض النفوس، ج1، تر: رياض البكوش محمد العروسي، دار الغرب، بيروت ط1، 1983
38. مزيان سعيدي: النشاط التنصيري للكردينال لافيجري في الجزائر 1867- 1892، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2009.
39. مصطفى خياطي: الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر: حضرية يوسفي، منشورات ANEP، د: ط، د: ت.

40. مصطفى خياطي: الطب والأطباء في دولة الأمير عبد القادر، تر: نبيلة حنك، منشورات ANEP ، 2013 .
41. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي.
42. المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، إعداد: عبد الرحمان دويب، دار المعرفة، د:ط ، د:ت.
43. مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د:ط، 1985.
44. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج5، دار صادر، بيروت، د:ط، 1977.
45. يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830- 1900، ديوان المطبوعات الجامعية، د:م، د:ت.
46. يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، وزارة المجاهدين.

2.2. باللغة الفرنسية:

1. De Galland, Excursion à Boussaâda et M'sila, Editée par Paul Ollendorff, Paris.1899.
2. Despoi,J. le hodna (algerr) PUF paris , 1955
3. Feraud. CHARLES, Histoire Des Villes De La Province De Constantine: Sétif, Bourdj Bou-Arreridj, Mesila Bousdada Et Constantine, In RSAC, Vol XV, 1871-72.
4. L. Abid, les épidémies de choléra en Algérie au cours du 19 éme Siécle, 4 decenbae, 2016.

3. الرسائل الجامعية :

3. 1.الدكتوراه:

1. بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي (1830- 1954)، مذكرة دكتوراه تحت اشراف: د. صالح لميش، جامعة منتوري، قسنطينة، 2012.

2. خميسي سعدي: بوسعادة في العهد الاستعماري 1849 - 1939، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر(المقاومة الوطنية والثورة)، جامعة الجزائر، 2016 – 2017.

3. فلة قشاعي: الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي (1518- 1871)، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2003/ 2004.

3. 2. ماجستير:

1. جمال الدين سعيدان: الأحوال المعيشية والصحية في الريف القسنطيني فيما بين (1830- 1919)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة.
2. صليحة رحلي: المسيلة وجهتها في العصر الوسيط دراسة موتغرافية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير- تاريخ الوسيط، تحت اشراف علاوة عمار، جامعة الحاج لخضر ، باتنة، 2013- 2014.
3. علامة صليحة: الوضع الصحي في الجزائر 1830- 1930، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تحت اشراف نصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 2000- 2001.
4. كمال بيرم: بلدية المسيلة المختلطة دراسة اقتصادية واجتماعية بين (1884- 1954)، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارات البحر المتوسط، إشراف الأستاذ، حداد مصطفى، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2006/2005.

3.3. ماستر:

1. بغدادي هنية: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر ما بين 1945 - 1954م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، في تاريخ الحديث والمعاصر، تحت اشراف: بيرم كمال، 2012 – 2013.

2. جهاد بن علي، الاستيطان الاوربي في الجزائر وأثره على الحياة الاجتماعية للجزائريين1830- 1870، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، تحت اشراف محمد يعيش، 2014/2013.

3. سامية ديفل: أعلام ولاد عدي ودورهم السياسي والثقافي1900 - 1962، مذكرة ماستر، تاريخ حديث ومعاصر، تحت إشراف عبد الله مقلاتي ، جامعة المسيلة، 2013/ 2014 .

4. سعد الدين سهام: من أعلام الحضنة ودورهم في الحركة الوطنية والثورة التحرير (1900 - 1962)، مذكرة ماستر، تاريخ حديث ومعاصر، تحت إشراف بيرم كمال، جامعة المسيلة، 2013/2012م.

5. لخضر مغني: مراكز جيش التحرير الوطني بالمسيلة الشرقية أثناء الثورة التحريرية 1954- 1962، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، تحت اشراف محمد السعيد قاصري، 2014/2013.

6. مريم بن الشيخ: الصحة في الجزائر1830 - 1871 ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تاريخ حديث ومعاصر، تحت اشراف: مصطفى عبيد، 2011 – 2012.

4. المجلات:

1. العقون أم الخير: مجلة دراسات انسانية واجتماعية ، جامعة وهران ، عدد خاص، جوان 2102 Dirassat Insaniya wa Ijtimaiya.

2. بوجمعة هيشور: اتنولوجيا أعراش الجزائر (بحث في الجوانب الخفية لجذورنا التاريخية)، مجلة الآداب، العدد02، ديوان المطبوعات الجامعية بقسنطينة، 1995.

3. جيلالي صاري: الكارثة الديمغرافية في الجزائر 1867- 1868 ، مجلة الثقافة، عدد 76، 1983.

4. سعاد سليماني: مجلة أثار، جامعة الجزائر 2، العدد 11، 2014.

5. يحي بوعزيز: المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من 19 ومواقف وآراء الجزائريين من إدعاءات الفرنسيين حول أسببها، مجلة الأصالة، ع33، سنة 1976.

5 . الملتقيات:

1. جيجيك زروق: المسيلة وضواحيها على ضوء رحلة الورثيلاني الملتقى الوطني الخامس تاريخ وأعلام المسيلة، جامعة بجاية، من 5 إلى7 ديسمبر 2016.
2. خليل كمال: ملاحظات طبية عن الجزائر أثناء القرن 19، ل شارل إيميل ألكس، الملتقى الوطني الخامس تاريخ وأعلام المسيلة جامعة محمد لمين دباغين، سطيف.
3. خميسي سعدي: كتابات الرحالة الغربيين خلال القرن19 المجتمع و العمران بمدينة المسيلة في القرن 19م من خلال رحلة بول ادال(Paul Eudel)، الملتقى الوطني الخامس تاريخ أعلام المسيلة من 5 إلى 7 ديسمبر 2016.
4. راجعي عبد العزيز: الصورة الجغرافية لمنطقة المسيلة من خلال رحلة شارل دوغالون 1897، الملتقى الوطني الخامس تاريخ أعلام المسيلة من 5 إلى 7 ديسمبر 2016.
5. زيان رجاء: قراءة تاريخية للرحلة ومختلف محطاتها من خلال الرحالة الأوربيين حول مدينة الحضنة رحلة شارل دوغالون نموذجا: الملتقى الوطني الخامس تاريخ أعلام المسيلة من 5 إلى 7 ديسمبر 2016.
6. سعاد سليماني: الجغرافية التاريخية في المغرب القديم والوسيط واقع البحث وأفاقه، سجل بحوث الملتقى الدولي الأول، دار كونتراست للنشر، الجزائر، 2015.
7. سليمة بودخانة: صورة المسيلة في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن 19، الملتقى الوطني الخامس تاريخ وأعلام المسيلة، جامعة باجي مختار، عنابة، من 5 إلى7 ديسمبر 2016.
8. طاهري فاطيمة: مدينة المسيلة النشأة والتطور من خلال كتابات الرحالة، ، الملتقى الوطني الخامس تاريخ وأعلام المسيلة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة من 5إلى 7 ديسمبر 2016.
9. نور الدين مقدر: منطقة الحضنة من خلال رحلتي بول أودال ودي غالون في أواخر القرن 19م، الملتقى الوطني الخامس، تاريخ أعلام المسيلة، من 5 إلى 7 ديسمبر 2016.

الملحق رقم (01): تقييدات أحداث الستينات من القرن 19 م[1]

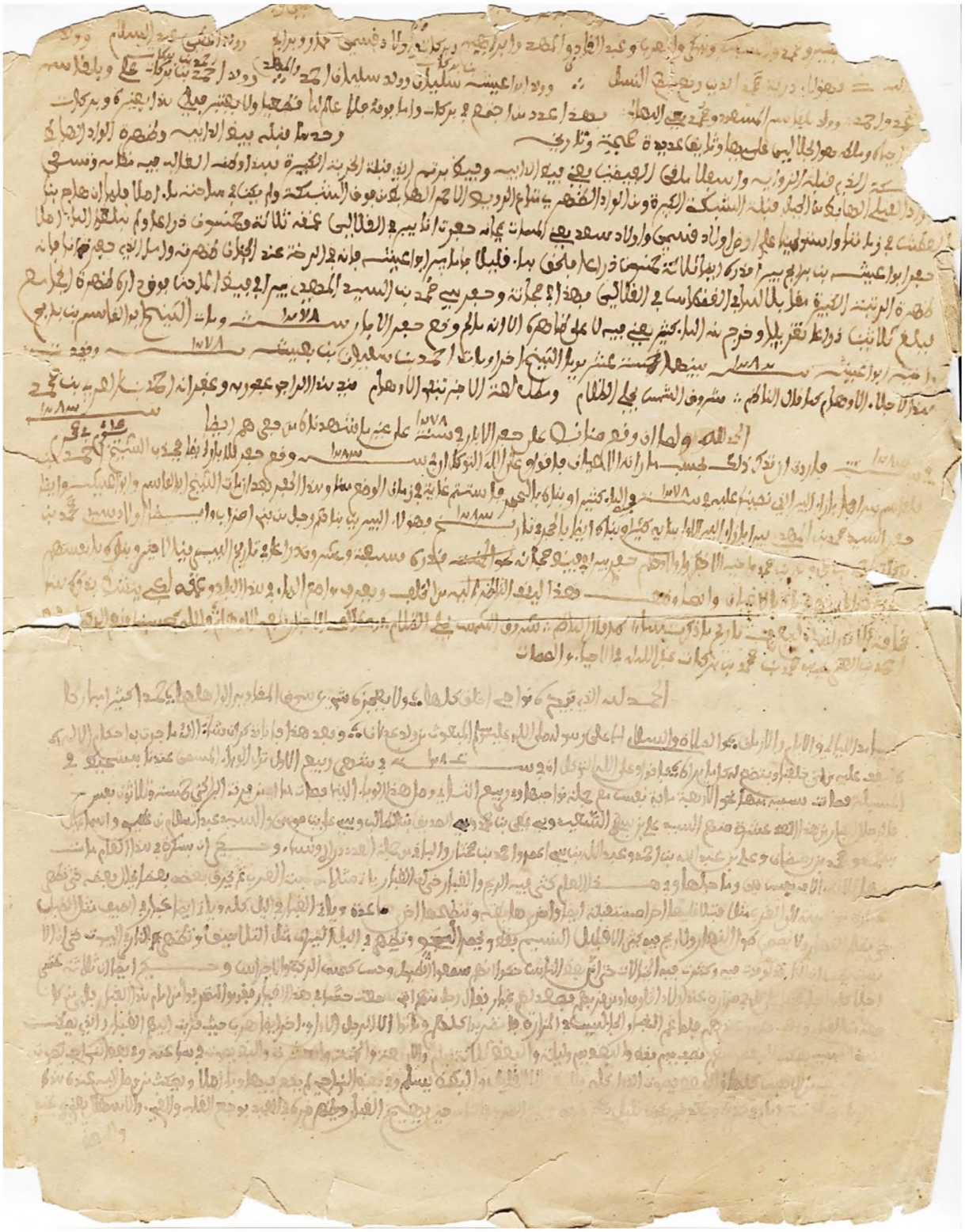

[1] الارشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك- وثائق لم تنشر- تقييدات بن العربي

الملحق رقم (02): تقييدات أحداث الستينات من القرن 19 م[1]

[1] الارشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك- وثائق لم تنشر- تقييدات بن العربي.

الملحق رقم (03): تقييدات أحداث الستينات من القرن 19 م[1]

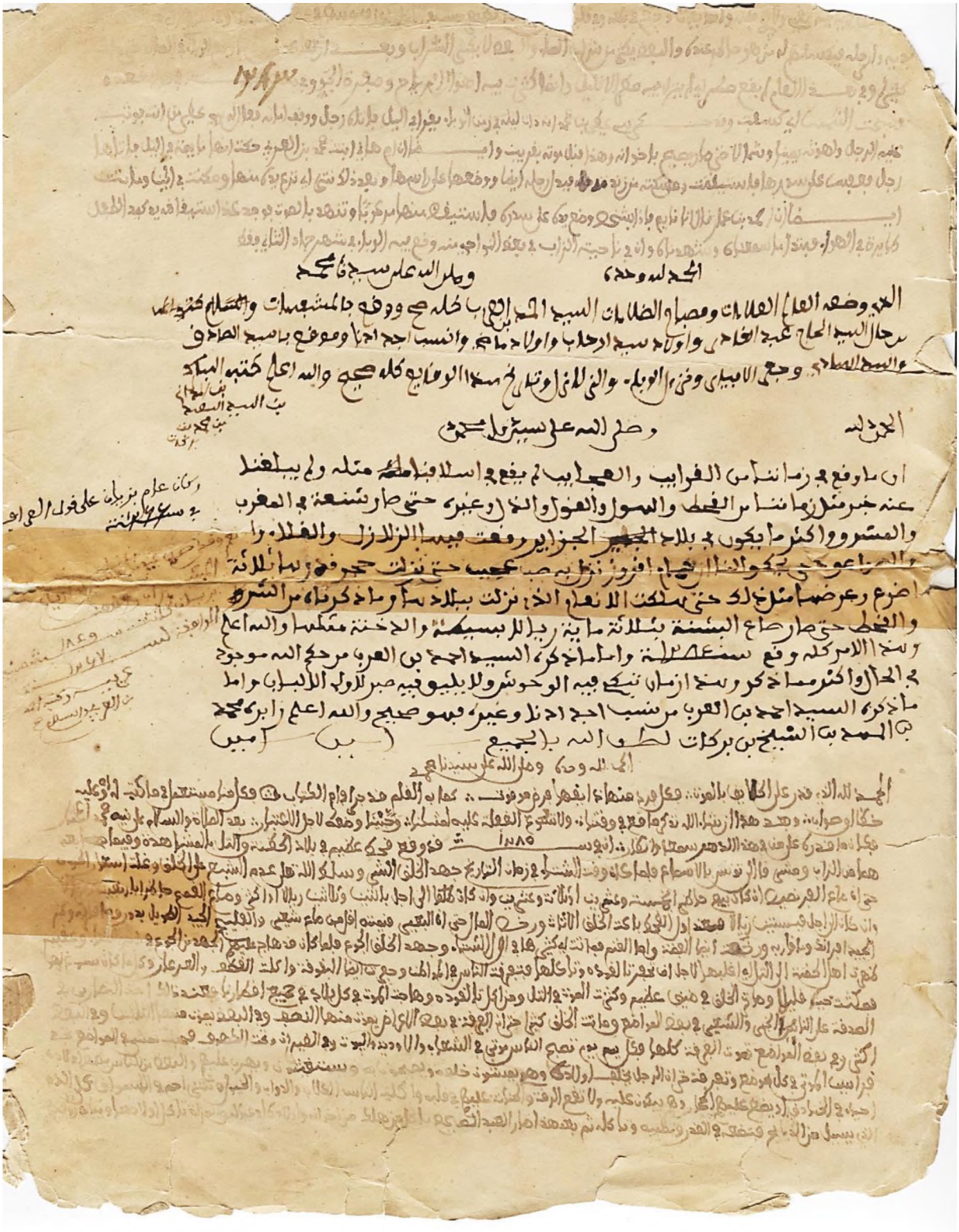

[1] الارشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك- وثائق لم تنشر - تقييدات بن العربي.

الملحق رقم (04): تقييدات أحداث الستينات من القرن 19 م[1]

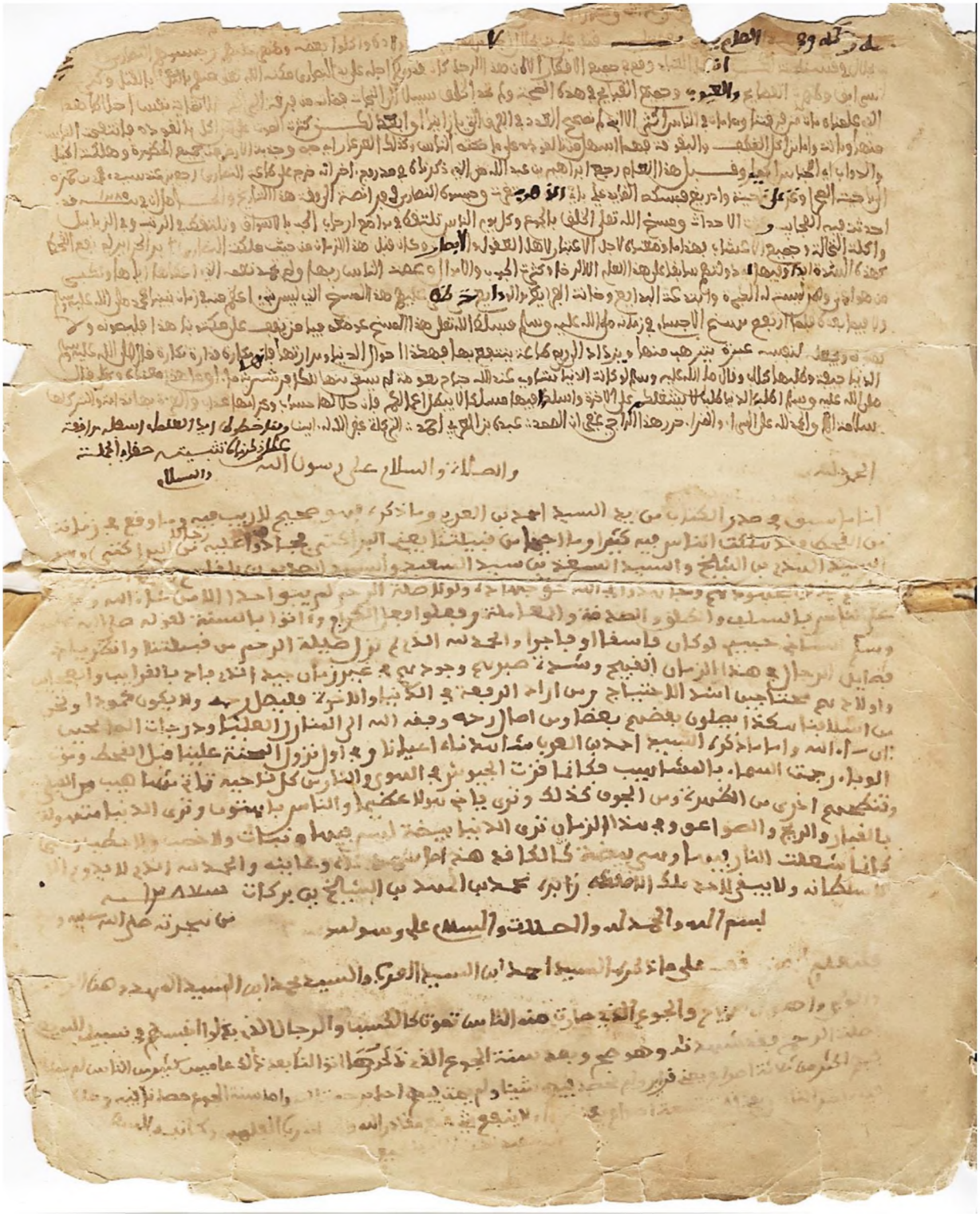

[1] الارشيف الخاص بالأستاذ مهدي مبارك- وثائق لم تنشر- تقييدات بن العربي.

قائمة الملاحق

منظر داخلي لزاوية سيدي بوجملين[1].

منظر لقباب الحاج العربي

[1]Galland (DE) :Excursion de Bou - saada à M'sila, Ollendorf.Paris,1899, p93.

منظر عام لمدينة المسيلة بالقرب من الجهة اليمنى للوادي[1]

[1]Op. cit, p85.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصحفة
البسملة	
شكر و عرفان	
اهداء	
مقدمة	01
المدخل	
1. الاطار الجغرافي للحضنة	***06***
2. الاطار التاريخي للحضنة	***13***
الفصل الأول: الحياة الاجتماعية بمنطقة الحضنة خلال القرن19	
1.السكان في الحضنة	***21***
2. قبائل البدو الرحل	***22***
3. السكان الحضر/ الأهالي	***30***
4. الاوربيين واليهود	***32***
المجتمع الحضني عشية الإحتلال الفرنسي	***34***
1. الاحتلال الفرنسي للحضنة	***34***
2. أهم الإنتفاضات	***35***
إنتفاضة بوخنتاش	***35***
إنتفاضة أولاد ماضي	***37***
3. تأثير الإحتلال على الحياة الإجتماعية	***39***
1.3.تدهور المستوى المعيشي	***39***
2.3. مصادرة الاراضي	***40***

3.3. نمو حركة الاستيطان	***42***
3.4. ابادة العنصر البشري	***42***
الفصل الثاني: الواقع الصحي بالحضنة خلال القرن 19	
انتشار الأوبئة والمجاعة في اقليم الحضنة	***45***
1. أسباب المجاعة	***45***
1.1 أسبابها الطبيعية	***45***
2.1 أسبابها الاقتصادية	***52***
2. انعكاسات الأوبئة والمجاعات على الحياة الاجتماعية في الحضنة.	***55***
1.2... حركة نمو السكان	***55***
2.2.. الهجرة	***58***
طبيعة ونوعية الأمراض في اقليم الحضنة خلال القرن الوضع الصحي عشية الاحتلال	
الواقع الصحي للمنطقة عشية الاحتلال	***59***
الكوليرا	***60***
التيفوس	***63***
نظرة السكان إلى الأمراض حسب تقييدات بن العربي	***64***
الخاتمة	***66***
بيبليوغرافيا البحث	***68***
الملاحق	***76***
فهرس الموضوعات	***83***